

Princeton University Library



32101 074497155

علي رفاعي
مفتش الوعظ بالأزهر

محاضر الأئمة الأربعة

الطبعة الرابعة

١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

الناشر

مكتبة الخانجي بمصر

ومكتبة المثنى ببغداد

مَحَاسِنُ الْأَسْنَنِ

Mahāsīn

تأليف

علي رفاعي

مفتش الوعظ بالأزهر

الطبعة الرابعة

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

الناشر

مكتبة الخانجي بمصر

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربى شرحت صدور المؤمنين وزينت الإسلام فى قلوب
الموحدين ووفقتنى مع ضآلة معلوماتى لنشر محاسن دينك بين جماعة
المسلمين: الذين يشق عليهم مطالعة الكتب الكبيرة . فسهلت لى ولهم
سبل الاطلاع فى يسر وانشراح نفس : والصلاة والسلام على سيدنا
محمد الذى بعث بالاسلام : دين المحبة والسلام وبعد

فهذه هى الطبعة الرابعة لهذا الكتاب الذى نفذت كل طبعته
السابقة بمجرد ظهورها .

وقد قام بطبعه هذه المرة الشاب الأديب الذى يعمل على نشر
كتب الاسلام الأستاذ محمد نجيب الخانجي أحسن الله جزاءه وأثابه
فى الدنيا والآخرة — أسأل الله أن ينفعنى بما علمت ويعلمنى ما أجهل
ويهب لى الإخلاص والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير .

تصدير الكتاب في طبعته الثانية

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حميدة

عضو جماعة كبار العلماء

حمداً لله تعالى الذي تفضل فحفظ دينه القويم ، وأنا سبيل
الهدى لعباده ، فبادر إلى سلوكها أهل البصيرة والتدبر . وصلاة
وسلاما على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين ،
القائل وقوله الحق ، لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم
من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن الله تعالى قد شرح صدرى للاطلاع على كتاب
(محاسن الإسلام) لفضيلة الأستاذ النابه الشيخ على رفاعي مفتش
الوعظ بالأزهر الشريف ، فشكرت لفضيلته ما يأتي :

(١) قد تخير الطرق الصالحة والأدلة الواضحة في بيان
المبادئ الإسلامية ، ليظهر للناس محاسن الإسلام بيضاء ناصعة .

(٢) يسوق للقارئ عند ذكر المبدأ الإسلامي مقدمة وجيزة
تفتح قلبه وتهينه لقبول حكم الشريعة ، وبرهانه الذي يحى . حينئذ
جلياً واضحاً .

(٣) قد يسوق في سبيل هذا البيان من القصص ما يأخذ

بالقلوب ، ويشوق النفوس إلى أعمال البر والإحسان التي جاءت
الشريعة لغرسها في النفوس ، ليسود الهدوء بين الناس جميعاً ،
وتتوثق الروابط بين بني الانسان .

(٤) قد أحسن الأستاذ كثيراً فيما أرشد إليه في القسم
الثالث من كتاب محاسن الإسلام فأجاد في بيان الأسس الصالحة
لنظام الاجتماع الانساني ، مع بيان العوامل الفعالة في رقي الأمم
وفلاحها ، مما لو وفق الله المسلمين للعمل به والتشبث بأهدابه
لاستفادوا كثيراً ، واتحدت كلمتهم وعلا شأنهم .

هذه الخطة الصالحة هي بعينها الخطة التي جاءت بها النبوات
وأرسلت لها الرسل ، وهي بعينها ما ينبغي أن يكون عليه ورثة
الأنبياء وخلفاء الرسل ؛ يذكرون الناس بأسلوب حسن ، ويرغبونهم
في مكارم الأخلاق بطريقة تشرح الصدور وتحبب في المكارم
والآداب . فجزى الله الأستاذ على عمله هذا الذي أرجو من ورائه
نفعاً عاماً وقبولاً حسناً خير الجزاء . والله تعالى يوفق الجميع لما فيه
الخير والمصلحة ؟

مقدمة الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقئ . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يمتئى ثم يحين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين . رب هب لى حكماً وأحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لائى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم » . قرآن كريم من سورة الشعراء .

أحمدك إلهى ، جعلت الإسلام ديناً عاماً خالداً ، أخرجت به أمة من الظلمات إلى النور ، وبوأتها مكان العزة والكرامة ، فنشرت فى العالم مدنية فاضلة ، تحدث عنها من لا يؤمن بالإسلام ، وشعت حضارتها فى المغرب والمشرق ، فسعد العالم فى ظلها بالعدل والحرية والإخاء والمساواة .

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد الذى بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وجعله خاتم الأنبياء ، وجعل دينه ناسخاً لما قبله من الأديان . وشريعته صالحة لكل قوم فى كل زمان . أرسله على حين فترة من الرسل ، وجعل رسالته عامة

جميع الناس ، لا يختص بها قوم دون قوم ، فأوحى إليه « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، فقام بأمر ربه ، وجاهد في الله حق الجهاد ، ونشر النور في جميع الأرجاء ، وأحياء شريعة الأنبياء .. فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن سار سيرهم ، وسلك طريقهم في القيام بواجب الدعوة إلى الله ، ونشر محاسن الاسلام ، وبيان مزاياه لعموم الأنام .

وبعد : فهذه الطبعة الثالثة لهذا الكتاب . فقد طبع لأول مرة ببني مزار حين كنت واعظاً بها سنة ١٣٥٥ هجرية ، وطبع للمرة الثانية بالاسكندرية سنة ١٣٥٦ هجرية حيث نقلت واعظاً بها ، وقد نفدت الطبعتان بمجرد ظهورهما ، مما شجعني على إعادة طبعه منقحاً مضافاً إليه من الأبواب ما يشرح الصدر ويهدي للتي هي أقوم . وقد تخيرت له الجليل من الألفاظ ، والشريف من المعاني ، بحيث يجد القارئ فيه متعة النفس وغذاء العقل . فما يزال ينتقل من بستان إلى بستان ، ومن جمال إلى كال ، حتى يشهد بحق أن الدين الصحيح الموافق لكل قوم والصالح لكل زمان هو الإسلام « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه . وهو في الآخرة من الخاسرين » .

والله أسأل أن يجعله ذخيرة لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يعم النفع به ، إنه سميع مجيب .

عظمة فتي الصحراء

من الحق على قبل الخوض في موضوع هذا الكتاب أن أذكر لك شيئاً عن عظمة سيد الوجود ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولئن كانت كل ناحية من نواحي هذا الرسول الكريم ميداناً متسعاً لكل من يريد الاقتباس من المحاسن ، ومحاسن المكارم ، فحسبى أن أذكر خلاصاً ، وأسوق للقراء خلاصاً بلغ فيها فتي الصحراء شأواً لا ينال .

والعظمة ليست بضخامة الأجسام ، ولا بكثرة المال ورفعة المناصب ، وإنما العظمة الحقيقية تتجلى في الأخلاق والأعمال . ولقد كان فتي الصحراء — صلوات الله عليه — عظيماً في أعماله سامياً في أخلاقه ، كيف لا ، وقد كان خلقه القرآن .

اختطف الموت والده وما يزال جنيناً في بطن أمه ، وتوفيت والدته ولما يبلغ السادسة من عمره ، ومع حرمانه من حنان الأم ورعاية الأب ، شب كريم السجايا ، جميل الخلق ، نحر أترابه ولداته حيلته الصدق والعفاف ، وشعاره كرم النفس والمروءة ولين الجانب والبعد عن السفساف ، وهو الذى نشأ في بيئة أمية ترى العظمة في سفك الدماء ، وقهر الرجال وسلب الأموال ، وعبادة أحجار إن دلت على شيء فعلى خطل عقول عابديها ، وتوغلهم في الجهالة .

اصطفاه الله لهداية الناس ، وبعثه رحمة للعالمين ، فقام يدعو قوماً جفاة تأصل الشر في نفوسهم ، ومرتوا على الفساد ؛ قام يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان ، ويأمرهم بإخلاص العبودية لله رب العالمين ؛ فناصره العدا ، وأخذتهم العزة بالإثم ، وأقاموا العراقيل في سبيل نشر دعوته ، وآذوه شديداً بالإيذاء ، فلم يوهن ذلك من عزيمته ، ولم يضعف من قوته ؛ بل قابل الشدة باللين ، والجفاء بالمودة ، فاستجاب له نفر انشرح صدورهم لدعوته ، وعاهدوه على نشر كلمته ، والعمل على نصرته ؛ ولا تحسب هؤلاء النفر الكرام من الكثرة .
بمكان ، فوربك إنهم لم يبلغوا الثلاثين عدا ، ولكن « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

أقول لم يبلغوا الثلاثين ، ولكنهم قوم قد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ، وشع النور في بصائرهم ، فكبروا في أرجاء العالم وأرسلوا كلمة التوحيد من أفواههم خالصة بها قلوبهم ، فدوت في عموم الأنحاء ، وأضاءت ما بين المشرق والمغرب ، وأصبح أهلها بعد الضعف والقلّة سادة الأمم وقادة الشعوب ، وأنشدوا من كتاب الله المجيد : « نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين » .

بعد تلك الكلمة الموجزة أعرض عليك ألوأنا من عظمة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، مقتبساً ذلك من أعماله الجليلة ، وسجاياه النبيلة .

وأنتى للقلم أن يصف أعمال الفرد العَلَم الذى أخرج أمة من الظلمات إلى النور ، ونشر فى العالم مدينة فاضلة لا تسامى . ولقد يدهش المرء ويأخذه العجب حين يعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يعمّر كما عمّر من قبله من الرسل الكرام ، بل ثلاثة وعشرون عاما قام فيها داعيا وهاديا ، فبدّل ما على وجه الأرض وغير نظام العالم إلى الخير والسعادة والهناء .

أرأيت كيف أتى على عقائد القوم الباطلة ، وعاداتهم الآثمة ، فتركوا عبادة الأبحار ، وأخلصوا العبودية لله الواحد القهار ! . وإن تعجب فعجب قوم متفرقون شيعا وأحزابا ، يصبحون بنعمة الله إخوانا ، يفتحون الدنيا شرقا وغربا بقوة إيمانهم ، وشدة ثباتهم ، يجعلون الحق فوق رؤوسهم ، والباطل تحت أقدامهم ، لا يخافون غير الله ، ولا يرهبون سواه ، إمامهم القرآن ، وقائدهم إلى سبيل السعادة محمد عليه الصلاة والسلام .

عفوّه عند المقدرة

هذا العظيم الذى جعل من العرب أمة دانت لها الأكاسرة ، وخضعت لها القياصرة ، وبوأها مكانة العزة والكرامة ، انظر إلى عظّمته كيف يعفو عند قدرته :

ورد فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أنه « غزا مع النبي

صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معهم ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة (شجر له شوك) فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة (شجرة الطلح) فعلق بها سيفه ونمنا نومة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا ، وإذا أعرابي ، فقال : إن هذا اخترط على سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا (مسلولا) قال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله — ثلاثا — ولم يعاقبه وجلس . وفي رواية أخرى : قال جابر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع ، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة ، فاخرطه ، فقال : تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله . وفي رواية أبي بكر الاسماعيلي في صحيحه فقال : من يمنعك مني ؟ قال : الله . فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال : من يمنعك مني ؟ فقال : كن خير آخذ . فقال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ فقال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله ، فأتى أصحابه فقال : « جئتم من عند خير الناس » ١ .

وتأمل — أرشدك الله — ما أقصه عليك من نبأ سيد المرسلين
مع ذلك الأعرابي :

جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول
يلبس بُرداً غليظ الحاشية ، فجبذه الأعرابي جبذة شديدة حتى
أثرت حاشية البرد على صفحة عنق النبي صلى الله عليه وسلم ، وزاد
الأعرابي على إساءة الفعل إساءة القول فقال : يا محمد احمل لي على
بعيرى هذين من مال الله الذى عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك
ولا من مال أهلك ! فقال : يا أعرابي : المال مال الله ، وأنا عبده ،
ولكن يقاد (يقصر) منك ما فعلت بي ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال :
لأنك لا تكافى السيئة بالسيئة ! فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وأمر أن يحمل له على بعير شعيرته ، وعلى الآخر تمر .

ولما أمكنه الله من أعدائه الذين أخرجوه من بلده وآذوه
وأصحابه وتفننوا فى إيصال الضرر به وبأصحابه حتى عذبوا بعضهم
بالنار ، لما أمكنه الله منهم وفتح عليه مكة ، جمع القوم وقال :
ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .
قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . وفى بعض الروايات : أقول لكم ما قال
يوسف لإخوته : « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين » .

هذا الخلق العظيم شأن الكرام .

إن الكريم إذا تمكن من أذى جاءته أخلاق الكرام فأقلعها
وترى اللئيم إذا تمكن من أذى يطغى فلا يبقى لصلح موضعها

رحمته وبره

إن من يتأمل ما كان متصفاً به ذلك القلب الكبير من الشفقة والحنان والرحمة ، حتى لقد شملت رحمته الانساب والحيوان ، والمؤمن والكافر ، من يتأمل ذلك لا يسعه إن كان من أهل الانصاف إلا الاقرار بعظمة فتي الصحراء صلوات الله عليه ويعتقد بحق أنه رحمة مهداة للناس جميعا ، كما قال الله في كتابه الكريم : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

أما رحمته بالمساكين وذوى الفاقة والمحاييج ، فتلك مضرب المثل إلى أن تقوم الساعة .

من ذلك وصيته لزوجته عائشة رضي الله عنها ، قال لها :
يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة . يا عائشة أحبي
المساكين وقربهم يقربك الله منه .

تلك وصيته لزوجته الطاهرة وهذا هو قوله لها . وأما فعله معهم وما كان يعاملهم به من المعاملة الممتازة فإليك بعضه :

كان صلى الله عليه وسلم يجلس معهم ويسير بسيرهم ، ويأكلون معه من طعامه ، يعود مرضاهم ، ويمشي في جنائزهم ، يوقر كبيرهم ، ويعطف على صغيرهم ، يحث الأغنياء على البر بهم بعبارات تستدر

عطف البخيل ، مثل قوله عليه السلام : « من فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن يستر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » .

ومثل قوله صلوات الله عليه : « من كسا مسلماً ثوباً على عُرى كساه الله من خضر الجنة ، ومن أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » .

برّكّله وعطف وحنان . أنظر كيف يحمل قلوباً مرت على القسوة والغلظة ، على الرفق بالحيوان . وأى قلب لا يلين حين يسمع قوله عليه السلام « بينما رجل يمشى بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى ، فنزل البئر فלא خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى له ، فغفر له » . فقالوا يارسول الله : وإن لنا فى البهائم أجراً؟ قال « فى كل كبد رطبة أجر » . وقال صلوات الله وسلامه عليه « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، وقال

عليه السلام « من يحرم الرفق يحرم الخير كله ، .
وحدث عبد الرحمن بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله في
سفر فرأينا حمرة (طائر) معها فرخان لها ، فأخذناهما ، فجاءت
الحمرة تعرش (ترفرف) ، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ، !
ولو تركنا للقلم العنان في بيان رحمته وبره لما وسعنا الكتاب
فنكتفي بما أسلفنا ، لنذكر طرفا من :

شجاعته وقوة عزمته

تتجلى شجاعته وقوة عزمته في ثباته على الحق والجهربه ، غير
مبال بالشدائد تصيبه ، والبلايا تنزل به وبأصحابه ، مادام في ذلك
مرضاة الله تعالى .

ورد أن كفار قريش اجتمعوا إلى عمه أبي طالب وقالوا له :
إن ابن أخيك سفه أحلامنا ، وعاب آباءنا ، وحقر أصنامنا ، فإما
أن تكفه أو تنازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . ثم
انصرفوا . فقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي
إن القوم جاءوني فقالوا لي كذا ، فأبق على نفسك ولا تحملني من
الآمر ما لا أطيق . فحسب الرسول أن عمه خاذله فقال « والله يا عم
لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا
الآمر ، ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ،

ولما انهزم المسلمون في غزوة حنين وتفرقوا ، ثبت صلى الله عليه وسلم على بغلته في ميدان القتال وهو يقول «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب» .

ولقد صدق كعب بن زهير في قوله مدحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

تلك بعض نواحي عظمته صلى الله عليه وسلم . ولقد حملت خلاله الجميلة ، وسجاياه النبيلة ، ونباته على الدعوة إلى الحق ، ومتانة ما جاء به من الدين الحنيف ، كثيراً من منصفى الفلاسفة من غير أهل الديانة الإسلامية على الدفاع عنه وعن القرآن والإسلام . من ذلك قول جان جاك روسو «من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ، ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ، ولو أنه سمع محمداً وهو يملئه على الناس بتلك اللغة الفصحى الراقية وصوته المشبع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب ، والتفت إلى أنه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وفصاحة اللسان ، لخر ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبي رسول الله : خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخر ، أو إلى مواقع التهاكة والأخطار ، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار» .

إن الدين عند الله الاسلام

ما يدعو إليه الإسلام :

الاسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يدعو إلى اعتقاد أن للعالم إلهاً واحداً لا شريك له « ليس كمثله شيء » ، له القدرة التامة ، والارادة المطلقة ، والعلم المحيط يلزم البشر الخضوع له والانقياد والعمل على مرضاته بامتثال أمره واجتناب نهيهِ .

وهذا الذي جاء به الاسلام اتفقت في الدعوة إليه كل الأديان الحقة ، وتواضعت عليه عموم الشرائع السماوية « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه : الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب » .

الاسلام دين المدنية الفاضلة ، يدعو إلى الصدق والعفاف ، والعدل ، وحفظ العهود ، والجد والنشاط ، والتحلي بمكارم الأخلاق يدعو إلى تحصيل الرفاهية والتمتع بلذات الحياة في قصد واعتدال ، ضمن حدوده وقوانينه ، يدعو إلى البر والتقوى ، وينهى عن الإثم والعدوان ؛ لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالسعادة والفلاح ، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد ؛

لأنه قانون وضعه العليم بمصالح الخلق ، الخبير بما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم .

الاسلام دين الطيبات ، لا يدعو الناس إلى الزهد المسرف ، والتقشف المضني ، وإهمال شأن هذه الحياة كما يحسب أعداؤه . بل هو الدين الاجتماعي الذي يرغب البشر في تحصيل السعادة ، والتمتع بمباهج الحياة ، واقتطاف لذاتها ، وجنى ثمارها ، من غير إفراط ولا تفريط . وإليك البيان ؛

منهاج الاسلام الذي أنزله الله على سيدنا محمد صفيه وخاتم رسله صلى الله عليه وسلم يشمل أقساما :

(١) الاقرار بوجود العالم وأنه واحد ، والاعتراف بالميعاد وبعث الأجساد .

(٢) ضروب العبادات التي تهذب الأرواح .

(٣) أسس لنظام الجمعية الانسانية وارتباط أفراد الناس بعضهم ببعض .

القسم الأول

الاقرار بصانع العالم ، وأنه واحد موصوف بالكمال منزّه عن النقص . وتعليمات الاسلام في هذا بيئة جليلة ، لا غموض فيها ولا إبهام ، فلم يقل على الثلاثة إنهم واحد ، ولم يقل بالحلول والتعطيل والتشبيه ، وما إلى هذا مما ينافي مقام الألوهية .

ذلك أن الاسلام حين دعا إلى الاقرار بموجد العالم ووحدانيته لم يدع إليه إلا بالبرهان الجلي والحجة البينة ، فلم يكلف البشر باعتقاد مالا بينة عليه ، بل نصب الأدلة في الأنفس والآفاق ، وحث العقول على النظر والاستدلال ، لتصل بالبرهان إلى معرفة أن للعالم إلهاً واحداً « ليس كمثله شيء » ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة .

فتراه مرة يفتح أمام عقلك وبصرك صحيفة السماء ، ويلفتك إلى ماحوت من شمس مشرقة وقمر منير ونجم مضى ، فيقول : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

ويقول « فالحق الاصباح ؛ وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ؛ ذلك تقدير العزيز العليم » .

ويقول « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » .

فإذا علمنا أن فصول السنة أربعة : الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وعلمنا فوق هذا أن لكل فصل من الفصول منافعه ومميزاته في تنمية الأجسام وانضاج الزروع والثمار ، وأنها تأتي في أوقاتها التي قدرها الله تعالى وعلم فيها المصلحة للعباد ، امتلأت النفوس إيماناً بوجود إله حكيم مدبر للعالم ، خير بحاجة البشر والنبات والحيوان .

وإذا علمنا أن ضوء النهار يزيل ظلمة الليل ، أدركنا أن ذلك لا يحدث إلا بقدرة صانع واحد متعال .

وتراه مرة يلفت عقلك إلى الأرض التي تسير عليها ، ويدعوك إلى النظر فيما بين يديك من تربة الأرض الواحدة ، ذات الأشجار المتنوعة الثمر ، فيقول :

« وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

نشاهد شجرة الكرم (العنب) بجوار شجر الليمون ؛ والتفاح بجوار الحنظل في قطعة واحدة من الأرض تسقى بماء واحد ، وقد جعل الله سبحانه لكل نوع جذورا تمتص من الأرض ما يناسبها من الغذاء الذي به قوامها وحياتها ، وتنتج كل واحدة من الثمر ما يخالف الأخرى في اللون والطعم والرائحة ؛

ألا يدل هذا على وجود صانع قادر « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

وتراه مرة أخرى يلفت العقول الى أنه منزل الماء الذى به قوام الحياة ، وأنه جعله عذبا فرائقا صالحا لتغذية الحيوان والنبات ، ولو شاء أن يجعله أجاجا لا نفع فيه لكان ، فيقول :

« أفرأيت الماء الذى تشربون . أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلو لا تشكرون » .

وتسمعه جل شأنه حين يتحدث عن وحدانيته ، وإن موجد العالم يجب أن يكون واحداً ، فيقول فى جزالة لفظ وغمامة معنى : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون » . ويقول : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله » ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

فتراه يصرح بأن تعدد الرؤساء فى المملكة الواحدة داع لاضطراب شئونها واختلال نظامها ، وإن شئت قل إلى زوالها من صفحة الوجود .

وتراه يبرهن للذين يدعون غير الواحد القهار أن هؤلاء المدعويين لا يستطيعون أن يخلقوا أضعف الحشرات ، بل إن هذه الحشرات لو سلبتهم طعامهم ، وسطت على أشياءهم ما استطاعوا رد ما سلب ولا دفع ما وقع ، فكيف يكون هؤلاء آلهة ! وذلك قوله سبحانه :

«إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب .»

فأنت ترى — أرشدك الله — أنه نوع الأساليب وعدد الأدلة ولفت العقول إلى النظر في الأرض والسماء ، والناطق والصامت ، لتؤمن عن برهان ، وتدعن عن حجة بوجود صانع واحد ، أحسن كل شيء خلقه ؛ بل إنه رفض التقليد في باب الإقرار بوجود صانع العالم ووحدانيته وذم المقلدين أقبح الذم ، والآيات في باب إثبات الصانع الواحد المتصف بكل كمال . والمنزه عن كل نقص ، لا تكاد تحصى ، حتى قال العلماء : إن جُل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة إنما هو في الدعوة إلى الاعتراف بموجد العالم وأنه واحد ، والإقرار بالمعاد . ونكتفي بما ذكرنا في ذلك إشاراً للايجاز ، لنذكر لك طرفاً من : أدلة الإسلام في إثبات المعاد ، وأن هناك يوماً يجازى فيه المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته . والذي يتصفح شرائع الإسلام يرى أنه أثبت المعاد ببراهين تحاكي الشمس في الوضوح والجلال ، فيقول « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون .»

ترى الطفل يتكون من النطفة التي ترجع إلى التراب وإنه لميت جماد ، كما أن النطفة التي أصلها ما سمعت تخرج من الإنسان وإنه لحي

ناطق ؛ أفلا نجزم أن الذى بدأنا من عدم محض ، قادر على إعادةنا سيرتنا الأولى بعد فناء أجسامنا ؟

لاشك أن من قدر على البدء فهو على إعادة أقدر ، وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه .

وهل بعد الآية الآتية يطلب دليل على إثبات الحشر والبعث ؟ تأملها تجدها بيّنة واضحة لا تحتاج إلى شرح أو بيان ؛ تلك قول الله سبحانه :

« وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحياها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون . »

تلك حجج بينات على البعث والنشور ، والرجوع إلى الرحيم الغفور ، فسبحانك ربى ما أجلى براهينك وأوضح أدلتك ! وما يذكر إلا أولو الألباب .

وقبل أن ننقل بك إلى القسم الثانى نروى لك قصة تليذ صوفى مع شيخه ترويحاً لنفسك وتنشيطاً لذهنك ، فإن التزام حال واحدة فى وضع الكتب يضجر القارىء ويبلد ذهنه ، وبمشيئة الله بعد الفينة والفينة نتحفك بما يشوقك وينفعك . وإليك قصة :

شقيق البلخي وتلميذه حاتم الأصم

قال شقيق لتلميذه : منذ كم صحبتني يا حاتم ؟ قال حاتم : منذ ثلاث وثلاثين سنة . قال : فما تعلمت مني في هذه المدة ؟ قال ثمانى مسائل . قال شقيق : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل ؟ ! قال : يا أستاذ لم أتعلم غيرها ، وإني لا أحب أن أكذب . فقال : هات هذه الثمانى مسائل حتى أسمعها .

الأولى : نظرت هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر ، فإذا وصل إلى القبر فارقه ، فجعلت الحسنات محبوبى ، فإذا دخلت القبر دخل محبوبى معى ، فقال : أحسنت يا حاتم .

الثانية : نظرت في قول الله تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » ، فعلت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق ، فأجهدت نفسى في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

الثالثة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل « وما عندكم ينفد وما عند الله باق » ، فكما وقع في يدى شيء له قيمة وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً .

الرابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع

إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب ، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ، ثم نظرت إلى قول الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما .

الخامسة : نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا ، وأصل هذا كله الحسد ، ثم نظرت إلى قول الله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » فتركت الحسد واجتنبت الخلق ، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى ، فتركت عداوة الخلق عني .

السادسة : نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاثل بعضهم بعضا ، فرجعت إلى قول الله تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه ؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي ، فتركت عداوة الخلق غيره .

السابعة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيدخل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ، ثم نظرت إلى قول الله تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » فعملت أنى واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ، فاشتغلت بما لله تعالى على ، وتركت مالى عنده .

الثامنة : نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق : هذا على ضيعته ، وهذا على تجارته ، وهذا على صناعته ،

وهذا على صحة بدنه ، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله ؛ فرجعت إلى قول الله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فتوكلت على الله عز وجل ، فهو حسبي .

قال شقيق : يا حاتم وفقك الله تعالى . فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل ، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة .

ويروى أن أهل بغداد اجتمعوا إلى حاتم وقالوا له : يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته ؟ قال : معي ثلاث خصال أظهرهن على خصمي : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي ألا أجهل عليه . فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ما أعقله ! قوموا بنا إليه . فلما دخلوا عليه ، قال له : يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا ؟ قال : يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال :

تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك عنهم ، وتبذل لهم شيئك ، وتكون من شئهم آيساً . فإذا كنت هكذا سلمت .

وأقول : هذه هي العلوم النافعة ، والأدوية المفيدة ، والتصوف الحق ، والدعوة إلى الله من طريقها الصحيح . ولقد صدق الأول حين يقول :

ليس التصوف لبس الصوف ترقيه
 ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
 ولا صياح ولا رقص ولا طرب
 ولا اضطراب كأن قد صرت مجنونا
 بل التصوف أن تصفو بلا كدر
 وتتبع الحق والقرآن والدينا
 وأن ترى خاشعا لله مكتئبا
 على ذنوبك طول الدهر محزونا
 وقد أرى من الحسن أن أسمعك هذا الحديث لشدة مناسبتة
 لقصة شقيق وتليذه حاتم ، وهو :

عن أنس رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يمشى فى طريق إذ لقيه حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت والله مؤمناً حقاً . فقال
 صلى الله عليه وسلم : انظر ما تقول ، فإن لكل حق حقيقة ،
 فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، وأسهرت ليلى
 وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر
 إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاونون فيها . فقال
 صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم . ثم قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل نور الله الايمان فى قلبه
 فلينظر إلى هذا . ثم قال : يا رسول الله أدع الله لى بالشهادة ،

فدعاه ، فنودى بعد ذلك : يا خيل الله اركبي ! فكان أول فارس
ركب فاستشهد في سبيل الله ...

ويحسن أن أسوق إليك عقيدة التوحيد بعد ذلك في موضوع :

إذا سألت فاسأل الله

كثير ممن حاقت بهم الغفلة ، وran على قلوبهم الجهل ، إذا نزلت
بهم نازلة أو حدثت لهم حادثة من حوادث الزمان ، نسوا الله
واستغاثوا بعبيده ، والتجأوا إلى من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً
ولا نفعاً ، وذلك من تلبيس الشيطان وتزيينه للناس الضلال ، حتى
أعماهم عن طريق الدين الصحيح ، وحسن لهم سوء أعمالهم ؛ فبدلاً
من التجاء العبد لمولاه في تفرج كربات ، يحسن له أن ينادى ويستغيث
بواحد من مخلوقاته ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول : « ادعوني
أستجب لكم » ، ويقول عز شأنه « وإذا سألك عبادي عني فإني
قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، « إياك نعبد وإياك نستعين » .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كنت خلف النبي صلى
الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات :

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » ، إذا سألت
فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت
على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن
اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله

عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، رواه الترمذى . وفى رواية أخرى من غير طريق الترمذى « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا . »
وتعال معى — وفقك الله — أرشدك إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه أن يتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم . وإليك حديث :

الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامهم المبيت إلى غار ، فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار ، فقالوا : (أى قال بعضهم لبعض) : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . »
قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أعقب (بفتح فسكون) قبلهما أهلا ولا مالا (أى ما كنت أقدم عليهما فى شرب نصيبهما من اللبن أولاداً ولا خدماً) فنأى بى طلب الشجر يوماً فلم أرح (بضم الهمزة وكسر الراء أى أرجع) عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما ، فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن

أوقظهما ، وأن أعقب قبلهما أهلاً أو مالا ، فلبثت والقدرح على
يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصدية يتضاغون عند
قدمي (أى يضجون من الجوع) واستيقظا فشربا غبوقهما ؛ اللهم
إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه
الصخرة ! فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى
فأردتها عن نفسها فامتنعت منى ، حتى أملت بها سنة من السنين
فجاءتنى ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين
نفسها ، فقعلت ، فلما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تفض
الخاتم إلا بحقه ! فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى ، وتركت
الذهب الذى أعطيتها ؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه ! فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون
الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير
رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه
الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلى أجرى ، فقلت :
كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ! فقال :
يا عبد الله لا تستهزئ بى . فقلت لا أستهزئ بك ، فأخذه كله ،
فاستاقه فلم يترك منه شيئاً ؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك

فأفرج عنا مانحن فيه ! فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون ، .
رواه البخارى ومسلم .

هذا هو التوسل المشروع الذى يحبه الله ويرضاه . تتوسل
إلى الله عند الكربات بصالح عملك لا بفلان وعلان . والوسيلة فى
قول الله تعالى « اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » هى العمل الصالح .
فالجأ إلى الله فى حوائجك يقضها لك فإن الطاعات تفرج الكربات .
لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

القسم الثاني

ضروب العبادات التي تهذب الأرواح

وهذا القسم يشمل الصلاة ، ووسيلتها ، الوضوء ، ، والصيام ،
والزكاة ، والحج .

ومهما أوتى المرء من فصاحة لسان ، وقوة بيان ، فلن يستطيع
حصص المحاسن التي في تلك التكاليف .

وأهم هذه المحاسن خضوع العبد لربه ، وإظهار افتقاره إلى
الله ، وعجزه .

الصلاة — قبل الخوض في بيان محاسنها نسوق نبذة في مزايا :

الوضوء^(١)

مزاياه الدينية : الوقوف بين يدي الله على أكمل حال
وأحسن هيئة .

ومن مزاياه الصحية : نشاط البدن وانتعاش الأعصاب . ولغسل
كل عضو فوائد ، وتعميم جميع أعضاء الوضوء بالغسل تحصل
الفائدة العظيمة للجسم كله .

(١) الكلام في الوضوء ذكرهنا مفصلاً وفي كتاب غذاء الأرواح مجملاً وكذلك
الصلاة . ويرى المؤلف الكلام على الصلاة في كل كتاب .

وإن من يتأمل إرشادات الإسلام يرى أنه الدين الذى يساير
الفطر ، ويلأثم الطباع ، ويوافق العقول السليمة ، صالح لكل
الأزمنة ولعموم البشر . وصدق الله العظيم « إن الدين عند الله
الإسلام » . « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو
فى الآخرة من الخاسرين » .

والإسلام دين الجمال ، يشيد بذكر ما فيه حسن ويرغب فيه ،
وينفر من الدرن والقذر ويزدرجه .

فمن محاسنه العظيمة : دعوته إلى تطهير الجسم والملابس
والمكان ، كما دعا إلى تطهير الباطن والإخلاص لله فى كل الأعمال .
فمن الجهل والغباوة أن يسأل سائل عن فائدة الوضوء والغسل فى
الشريعة الإسلامية .

وإلا فأى امرئ ينكر أن جمال العين فى نظافتها وبها تسلم من
الأمراض التى تفقدها قوة الإبصار ، بل أى إنسان يمارى فى أن
نظافة الفم تساعد على تنظيم عملية الهضم ، وتمنع كثيراً من أمراض
المعدة والأمعاء ، وأن الأيدى التى تتناول بها الأطعمة ونصافح بها
الأحبة جديرة بالنظافة التى شرعت لها فى الوضوء .

ففائدة الوضوء والغسل ومزاياهما الدينية والدينية لا ينكرها
إلا من حجب النور عن بصره وبصيرته . وإذ قد علمنا بعض ما فيهما
من الفوائد ، علمنا السر فى تكليفنا بذلك فى قول الله تعالى :

يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ،

وإني أذكر لك كيفية الوضوء والغسل بحيث لا يحتاج من يعمل بما رسمت له إلى سؤال أحد ، سواء أكان مالِكيا أو شافعيًا أو مقلداً لغيرهما من الأئمة الأربعة ، رضوان الله عليهم واليك البيان :

كيفية الوضوء

تبدأ بغسل الكفين ، ثم تأخذ غرفة بيدك اليمنى وتمضمض بها فمك ، وتستن بأصبعك أو بالسواك ، تفعل ذلك ثلاثاً ، ثم تأخذ غرفة بيمينك فتستنشق بها (واستنشاق الماء إدخاله في الأنف وجذبه بواسطة النفس) . ثم تستنثر بيدك اليسرى (تخرج الماء وما خالطه من الأنف بإخراج نفسك) ، تفعل ذلك ثلاثاً . ثم تغسل وجهك من منبت شعر الرأس إلى أسفل الذقن وما بين الأذنين وتذلك بيدك ، تفعل ذلك ثلاثاً . ثم تغسل يدك اليمنى إلى المرفق (المفصل) وتذلكها ، ثم اليسرى كذلك ، تفعل ذلك ثلاثاً . وتخلل أصابع يديك ، وتنزع خاتمك إن كان ضيقاً ، وتحركه إن كان واسعاً ، ثم تأخذ قليلاً من الماء ثم تمسح رأسك كلها وأذنيك ، وأنت بالخيار بين أن تأخذ لأذنيك ماء جديداً وهو الأولى أو تمسحهما بماء الرأس . ثم تغسل رجلك اليمنى إلى الكعب

ثلاثاً ، واليسرى كذلك ، وتدلكنهما ، وتخلل أصابعهما . والغسل ثلاثاً لكل عضو ليس بفرض ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثاً ثلاثاً ، ولم يزد .

والوضوء على الكيفية المذكورة من خصائص الأمة المحمدية فقد ورد في البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » . وورد في فضائل الوضوء أحاديث كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيما رجل قام إلى وضوئه يريد الصلاة ثم غسل كفيه ، نزلت خطيئته من كفيه مع أول قطرة . فإذا تضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفثيه مع أول قطرة . فإذا غسل يديه إل المرفقين ورجليه إلى الكعبين ، سلم من كل ذنب هو له ، ومن كل خطيئة كهيئته يوم ولدته أمه . فإذا قام إلى الصلاة رفع الله بها درجته ، وإن قعد قعد سلباً » .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء » ثم قال « أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

رواه مسلم . وفي رواية للترمذى زيادة اللهم اجعلنى من التوابين ،
واجعلنى من المتطهرين .

كيفية الغسل

تبدأ بإزالة ما علق بالجسم من نجاسة ، ثم تتوضأ وضوءك
للصلاة ، ثم تفيض الماء على عموم الجسم وتدلكه .
وسبب الغسل واحد من ثلاث : الجنابة ، والحيض ، والنفاس
ومن المحسوس شعور الإنسان بالفتور فى الجسم كله عقب خروج
المنى بعد تلك العملية التناسلية ، وكذا ضعف الأعصاب وارتخاؤها
بسبب ذلك ، ولا يعود للبدن نشاطه إلا بوجود عوض من الدم
الصالح بدل الذى خرج ، وهيات أن يعود إلا بعد زمن ، ولا بد
من بدل ينعش الجسم وينشطه ، وليس إلا الماء ينعش وينشط ،
ويذهب الجنول والفتور ، ولا ينكر هذا إلا معاند عديم الشعور .

الصلاة

معناها فى لغة العرب : الدعاء . قال الله تعالى : « وصل عليهم
إن صلاتك سكن لهم » أى ادع لهم . وقال الله تعالى : « يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

ومعناها فيما اصطلح عليه الفقهاء : أقوال وأفعال تفتتح
بالتكبير وتختتم بالتسليم بشرائط متعلمها بعد . والصلاة هى الصلة
بين العبد وربّه ، من حافظ على أدائها كان بينه وبين الله رابطة

وسبب ، ومن ضيعها وترك القيام بها برئت منه ذمة الله وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان في نار جهنم .

الصلاة صورة أدب واحترام ، ومظهر إجلال من العبد لربه ، يؤدى به واجب الاكبار والتعظيم والخنوع والتقديس ، شأن العبد بين يدي سيده ، والخادم أمام مخدومه ، يقف المرء بين يدي ربه فيبتدىء بالاعتراف لله بأنه أكبر من كل شيء (الله أكبر) ، وكل شيء بالقياس إليه صغير حقير ، ثم يأخذ في الثناء على الله ويخصه بالعبادة وطلب المعونة ، ضارعاً إليه أن يهديه الصراط المستقيم ، وأن يجعله من الذين أنعم عليهم بالتوفيق والهداية ، وأن يبعده عن طريق المغضوب عليهم لانحرافهم عن سواء السبيل بعد أن عرفوه ، وأن يحنبه طريق الضالين المتحيرين الذين عبدوا أهواءهم وشياطينهم . وعندئذ تمتلئ النفس بعظمة الله وهيئته ، فيختر المرء ساجداً مظهراً للذلة والمسكنة إلى من بيده مقاليد السموات والأرض .

فزايا الصلاة من ناحية الدين : خضوع وخشوع ، واعتراف بعظمة القاهر المقتدر . ومتى استشعر القلب ذلك وامتألت النفس من هيبة الله وجلاله ، كف المرء عن المحرمات ، وجانب طريق الموبقات ، فلا عجب أن يقول الله في شأن الصلاة إذا أدت على وجهها « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

وللصلاة من ايا صحبة اعترف بها حتى أعداء الاسلام، فلا نحسب من ينكر أن في رفع اليدين وانخفاضهما وفي القيام والجلوس من الحركات الرياضية المنظمة ما لم يتوصل اليه علماء الرياضة في هذا العصر ، فهذه الحركات تريح العمود الفقري والأعصاب ، وتبعث في الجسم النشاط ، وتلين المفاصل ، وتقوى حركة الدم في دورته ، وتساعد المعدة على سرعة الهضم .

فيا حبذا لو وفق أولوا الأمر إلى تعويد التلاميذ تأدية الصلاة في أوقاتها ، فإنها كفيلة بتقوية أجسامهم وحفظ صحتهم على أحسن وجه ، وإرضاء للخالق الأكبر . ومن رحمة الله بعباده أن أرسل اليهم الرسل الكرام لارشادهم إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، فبينوا — صلوات الله عليهم — للناس طريق الهدى ، ورغبوهم في سلوكه ، وحذروهم سبيل الردى ونفروهم منه ؛ ولكن الانسان لنفسه ظالم !

ومن يتأمل كتاب الله تعالى (القرآن) وما جاء فيه من الوعيد لتارك الصلاة ، وما ورد من الأحاديث في بيان عقاب من لا يؤديها ، من يتأمل ذلك وفي قلبه مشقال ذرة من الايمان يبادر خوف النعمة إلى أدائها ، ويحافظ عليها في أوقاتها أشد من حفاظته على ماله وولده ونفسه ، فإن بها الروح والريحان ، والسلامة والأمان .
فحق الآيات الدالة على شدة عقاب تارك الصلاة قوله تعالى :

« يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خائفة
 أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » .
 يوم الكشف عن الساق هو يوم اشتداد الكرب ، يوم يفر
 المرء من أخيه وأمه وأبيه ، يوم ينادى منادى الإله : أين من ترك
 الصلاة ؟ فيجيب كل من ضيع الصلاة في الدنيا ، فيدعى إلى الركوع
 فلا يستطيع ويدعى إلى السجود فلا يستطيع ، وتفرغ عليه الذلة ،
 ويسمع النداء : قد كنت تستطيع ذلك وأنت في الدنيا ولكنك
 فرطت وأهملت فذق اليوم العذاب والنكال ! وما ربك بظلام للعبيد .
 بل استمع معي — أرشدك الله — إلى ما حكاه الله تعالى
 من جواب المجرمين لأهل اليمين حين يسألونهم « ما سلككم في سقر ؟ »
 قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض
 مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين » .
 وقد قال العلماء : كل آية نزلت في الكافرين تنسحب بمضمونها
 على عصاة المؤمنين .

وقد وصف الله المنافقين بأنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى .
 والمنافقون في الدرك الأسفل من النار بنص القرآن الكريم ..
 وروى الامام أحمد وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وقد ذكرت الصلاة بين يديه فقال صلوات الله عليه « من حافظ
 عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ
 عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع
 قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » .

وكفى بهذا زجراً لتارك الصلاة . فإن هؤلاء الأربعة هم رأس الكفر والضلال ، ومن كان معهم كان منهم . نعوذ بالله من الخذلان ! وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وقال أيضاً : « لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تتركوا الصلاة عمداً ، فمن تركها عمداً متعمداً فقد خرج من الملة » ومعلوم أن من خرج من ملة الاسلام دخل ملة الكفر والضلال .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل : إني فرضت على أمتك خمس صلوات ؛ وعهدت عندي عهداً أنه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي » رواه أبو داود .

ولو ذهبت أحصى لك الآيات والأحاديث الواردة في عقاب تارك الصلاة لاحتجت إلى سفر مستتيل . ويكفيك أن تعلم أن تاركها ملعون في الأرض والسماء . ومن يختار لنفسه الطرد من رحمة الله فله جهنم وبئس المصير .

هذا وقد وعد الله المحافظين على أداء الصلاة بالفلاح والسعادة وإرث الجنة ؛ قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ... ، الآيات .

وروى الامام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لن يبلغ النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومعناه أن من صلى الفجر والعصر في أوقاتها وحافظ على تأدية باقي الصلوات لا يدخل النار » .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس : يمحو الله بهن الخطايا » . ويفسر ذلك مارواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » .

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » ، رواه مسلم .

ومن المحافظة على الصلاة ، المبادرة بها فى أول موائتها ، فى ذلك دليل على محبة الله ، وعلى المسارعة فى مرضاته . قال عليه الصلاة والسلام « أول الوقت رضوان الله ، وآخره عفو الله » .

أجنبى يشيد بفضل الصلاة فى الإسلام

قال توماس أرنولد فى كتابه (العقيدة الإسلامية) بصفحة

هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية . فكثيراً ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس . ودونك ما قاله فيه الأسقف (لوفرو) قال : لا يستطيع أحد يكون خالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم . فإنك حينما كنت ، سواء أوجدت في شارع مطروق أم في محطة سكة حديدية أم في حقل ، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلاً ليس عليه أدنى مسحة للرياء ، ولا أقل شائبة من حب الظهور ، يذر عمله الذي يشغله كائن ما كان ، وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المعين ... ولننتقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول : إنه لا يأتي لأحد يكون قد رأى مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر ألف مصل في عرصة المسجد الجامع بمدينة دلهي — بالهند — يوم الجمعة الأخيرة من شهر الصيام (رمضان) وكلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم ؛ نقول : انه لا يأتي لأحد يكون رأى ذلك المشهد أن لا يبلغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلاحظ ببصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . على أن توقيت الأذان اليومي للصلاة بأوقات معينة حينما يرن به صوت المؤذن في أبكر البكور قبل

الإسفار وعند الظهيرة والناس مضطربون ومضطربون في أعمالهم ،
وعند الإساءة — هذا الأذان الذي يحصل في هذه الأوقات على تلك
الصورة مشحون بذلك الجلال عينه .

ويقول رينان الحكيم الفرنسي : انه ما دخل مسجداً مرة
إلا تأثر تأثراً شديداً بل شعر بشيء من الأسف أن لم يكن مسلماً ..
ولقد كان مشهد صلاة الجماعة سبباً في إسلام رجل يهودى من
أهالى الاسكندرية ١٢٧٨ ؛ حكى الرجل المذكور عن نفسه فقال :
كنت مريضاً مريضاً شديداً ، فتمثل لى فى أثنائه أن هاتفا يهيب بى
أن أعلن الاسلام . ولما دخلت المسجد ورأيت المسلمين مصطفين
للصلاة وقوفاً كالملائكة ، سمعت فى نفسى صوتاً ينادىنى بقوله :
هذه هى الجماعة التى أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .
ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء سود ، وقع فى
نفسى وجدان الرهبة والخشية .

ولما ختم خطبته بهذه الآية ، ن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم
لعلكم تذكرون ، وأقيمت بعد ذلك الصلاة ، آنست من نفسى أنها
سمت سموأ كبيراً ؛ فقد بدت لى صفوف المسلمين كأنها صفوف
الملائكة ، وأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى عليهم فى سجودهم
وركوعهم ، وسمعت فى نفسى مناجياً يناجىنى بقوله : إن الله

سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين في جميع القرون الخالية ، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة في كل وقت من أوقات صلاتهم ، واقتنعت في نفسى بأنى خلقت لأكون مسلماً .

أوصيكم بالصلاة

تلك كلمة ظل يرددها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض الذى مات فيه حتى لجأ لسانه ولحق بالرفيق الأعلى .
والصلاة فرضت ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة . وقد شرعت الصلاة في جميع الأديان ، وهى في شريعتنا ذات قيام وقرأة وركوع وسجود ، محدودة بأوقات تشمل طرفى النهار وزلفاً من الليل ، يظهر العبد فيها غاية الخضوع والذلة والحاجة والافتقار لله رب العالمين ، شأن عباد الله المتقين الذين يرجون رحمته ويخافون عقابه « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » يعبدونه لذاته ، ويفوضون أمورهم إليه ، يعتمدون في قضاء حوائجهم عليه « أشدء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأهم في وجوههم من أثر السجود » .

وإنى أصف لك يوم السعداء :

السعيد في يومه

إذا استيقظ من نومه مبكراً قال شاكر آ لله الذي حفظه في ليله ورعاه ، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماننا وإليه النشور . ثم يتلو سيد الاستغفار وهو كما في البخارى ، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قال ذلك حين يصبح فمات دخل الجنة ، ومن قاله حين يمسى فمات دخل الجنة ، فإذا أدى بعد ذلك صلاة الصبح والنفس مشرقة والروح صافية ، ودعا بما أحب ، وتلا ما تيسر من القرآن ، ودعا بهذا الدعاء الذى كان يدعو به الرسول صلى الله عليه وسلم عند خروجه من بيته ، وهو : « بسم الله ، رب أعوذ بك أن أزل أو أضل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على . »

إن من يفعل ذلك لا شك يكون يومه مباركا كثير الخيرات ، ويخرج إلى عمله منشرح الصدر طيب النفس ، لا يفكر فى إيذاء أحد . ولا يحمل حقدا ولا ضغينة لخلق ، يلاقى اخوانه والنور يسطع على جبينه ، والبشر يتلألأ فى وجهه . فإذا حل وقت الظهر أداه شكرا لله على ما رزقه وأعطاه . وكذا إذا جاء وقت العصر وقف بين يدى غفار الذنوب يسأله غفران ذنوبه وستر عيوبه ،

ودعا بسيد الاستغفار المتقدم ، ويصلى المغرب والعشاء كلا في وقته .
 فإذا أوى إلى مضجعه قال : باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ،
 إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به
 عبادك الصالحين . باسمك نحيا وباسمك نموت . اللهم أسلمت وجهى
 إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة
 ورهبة إليك . لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ؛ آمنت بكتابك
 الذى أنزلت . ونبيك الذى أرسلت . . فإن قلت ذلك وكنت
 على وضوء ، وكنت على شقك الأيمن ، وممت من ليلتك فأنت
 على الفطرة . أخبر بذلك سيد البشر صلى الله عليه وسلم .

شخص يكون حاله ما ذكر ، جدير أن تفتح أبواب الخيرات
 على يديه ، وتقاض نعم الله عليه .

كيفية الصلاة

سبق أن شرحت لك الوضوء عمليا . وكذلك أبين لك الصلاة
 بحيث لو اتبعت ما سأذكره لك ، صححت صلاتك على كل مذهب ،
 وكانت تامة كاملة ، وصعدت إلى السماء ولها نور ، تقول : حفظك
 الله كما حفظتنى .

فإذا أراد المرء الصلاة قام (هذا للصحيح ، وستمر بك صلاة
 المريض) فكبر تكبيرة الإحرام رافعا يديه حذاء منكبيه

أو أذنيه ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ومعها ما تيسر من السور أو الآيات ، ثم ركع حتى يطمئن راكعاً يقول في ركوعه : سبحان ربى العظيم ثلاثاً . ثم يرفع رأسه من الركوع حتى يعتدل ويطمئن قائماً قائلاً : سمع الله لمن حمده ، أو ربنا ولك الحمد . ثم يسجد على جبهته وأنفه بين كفيه حتى يطمئن ساجداً قائلاً في سجوده : سبحان ربى الأعلى ثلاثاً ، ويدعو الله بما أحب ، مثل « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . ثم يرفع رأسه من السجود حتى يطمئن جالساً قائلاً : الله أكبر . ثم يسجد مثل سجوده الأول ، يفعل ذلك فى صلاته كلها . وفى الركوع يضع كفيه على ركبتيك وفرج بين أصابعك ، وارفع يديك عن جنبيك . وفى السجود ضم أصابعك ، وعلى رأس كل ركعتين تجلس لقراءة التشهد ، تفتش اليسرى وتقيم اليمنى .

والصلوات خمس فى اليوم والليلة : الصبح ركعتان ، والظهر أربع ، والعصر كذلك ، والمغرب ثلاث ركعات ، والعشاء أربع . وفى الركعتين الأوليين فى كل الفرائض وفى جميع ركعات النفل تقرأ فاتحة الكتاب ومعها ما تيسر من القرآن ، وفيما عدا الركعتين الأوليين من الفرض تقرأ الفاتحة فقط . هذا إذا كنت منفرداً ؛ فإن كنت مأموماً فبعض الأئمة يعفيك من القراءة مطلقاً ، وبعضهم يقول يقرأ المأموم فى الصلاة السرية ويسكت فى الجهرية ، وبعضهم

يوجب القراءة مطلقاً ؛ سواء كانت الصلاة سرّاً أم جهرّاً .
وقال بعض العلماء : إذا كان الإمام يسكت بين الفاتحة والسورة
يحسن بالمأموم أن يقرأ الفاتحة ، وإن لم يستطع فقراءة الإمام
له قراءة .

وقد حكى أبو هريرة رضى الله عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكبر
حين يقوم ، ثم يكبر حين يركع ، ثم يقول سمع الله لمن حمده حين
يرفع صلبه من الركعة ، ثم يقول وهو قائم : ربنا ولك الحمد ، ثم
يكبر حين يهوى ، ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يكبر حين يسجد ،
ثم يكبر حين يرفع رأسه ، ثم يكبر حين يسجد ، ثم يكبر حين يرفع
رأسه ، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها ، ويكبر حين يقوم
من الثنتين بعد الجلوس ، اه البخارى

صلاة المريض

إياك أخى إذا شعرت بمرض أن تترك الصلاة فإنها تقرّبك من
الله ، وأنت فى أشد الحاجة إلى رحمته . فإن استطعت أن تؤديها
قائماً فافعل ، وإن عجزت عن القيام أو قدرت ولكن يصيبك
بسبب القيام آلام فصلّ وأنت جالس ، تركع وتسجد ؛ فإن عجزت
عن ذلك فصلّ على جنبك الأيمن أو الأيسر بحسب قدرتك ، تومىء
برأسك إلى القبلة إيماء بدون ركوع ولا سجود ، وينبغى أن يكون

إيمانك للسجود أخفض منه في الركوع ، وإن لم تقدر فاستلق على ظهرك واجعل رجلك إلى القبلة وأوىء بالركوع والسجود ، فإن لم تستطع فعليك بالنسيج والذكر والدعاء وكثرة الاستغفار وإظهار الندم على مافات . ختم الله لنا بالسعادة ، ورزقنا الحسنى وزيادة .

التشهد

ورد التشهد بصيغ كثيرة ، وأصح ما ورد فيه حديث ابن مسعود ، ونصه قال « كنا إذا صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نقول : السلام على الله ، السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . ووردت روايات بصيغ مختلفة في الصلاة والسلام على النبي عقب التشهد .

ويكفيك أن تقول هذه الصيغة ، وهى :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد

مجيد . . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه يقول : السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيمن ، ويسلم عن يساره يقول : السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيسر وكان إذا جلس للشهادة أضعف رجله اليسرى ، ونصب اليمنى ، ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ، ونصب أصبعه للدعاء (الشهادة) ، ووضع يده اليسرى على رجله اليسرى ، وكان يرمى ببصره إلى أصبعه في التشهد . و « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

ما يقول المصلي

بعد تكبيرة الإحرام

عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استفتح كبر ثم قال « إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وفقني سوء الأعمال والأخلاق ، لا يقي سئئها إلا أنت » .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح الصلاة قال « سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة ، فقلت بأبي وأمي

يا رسول الله أسكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال : أقول :
اللهم باعد بيني وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب .
اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . اللهم
اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد . وكل ما قدمته لك أحاديث
صحيحة .

وأنت بالخيار تستفتح صلاتك بأى ذلك شئت .

وضع اليدين فى الصلاة

لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرخى يديه فى الصلاة ،
بل الوارد أنه كان يقبض بيمينه على شماله . فقد روى علقمة بن
وائل عن أبيه رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا كان قائماً فى الصلاة قبض بيمينه على شماله . وقال ابن مسعود
رضى الله عنه : « رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضعت شمالى على
يمينى فى الصلاة ، فأخذ بيمينى فوضعها على شمالى » .
ومن هذا يعلم أن وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة من
سنن النبي صلى الله عليه وسلم .

فضل الصلاة فى المساجد

مع الجماعة

المساجد بيوت المتقين : « أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار .

وصلاة الفريضة مع جماعة المسلمين تفضل صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاة ، وفي رواية بسبع وعشرين .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في جماعة تضعف — تزيد — على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطت عنه خطيئة ؛ فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث ، تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة . » رواه البخاري .

وفي رواية له « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح . »

وفي حديث « بشر المشائين — الذين يمشون المشى — في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة . »

وإنما يرغب نبينا عليه السلام في صلاة الجماعة والحضور إلى المساجد ، ليرشدنا إلى أن الإسلام دين ألفة واجتماع ومودة ووئام .

فبالاجتماع يمكن التشاور والتعاون بما يعود على الإسلام
والمسلمين بالنفع العام .

من أم بالناس فليخفف

هذه جملة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم منها
بعض الناس أن الإمام يلزمه أن يكون كالآلة التي تسرع في إنجاز
عملها ، فلا خشوع ولا طمأنينة . ألا فليعلم أهل الإيمان أن أقل
تسبيح في الصلاة الكاملة : في الركوع ثلاث ، وفي السجود
كذلك ، ومن نقص فقد أساء . فقد قال أنس بن مالك في صفة
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان يصلي ، فإذا رفع رأسه
من الركوع قام حتى نقول قد نسي ، . وثبت أن ركوع النبي
وسجوده ورفعه من الركوع وبين السجدين كان قريباً من السواء .
وإليك حديثاً يبين بطلان الصلاة الخالية من الطمأنينة :

صلِّ فانك لم تصل

روى البخارى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى وسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم ، فرد وقال : « ارجع فصل فانك لم
تصل ، . فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال : « ارجع فصل فانك لم تصل ، ثلاثاً . فقال : والذي

بعثك بالحق ما أحسن غيره ، فعلمني . فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً . وافعل ذلك في صلاتك كلها .

وروى البخارى عن أبى وائل عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته قال له حذيفة : ما صليت ! قال وائل : وأحسبه قال : لومت مت على غير سنة محمد .

وفى حديث آخر ، أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته . قالوا : يا رسول الله كيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها .

نعم ينبغى للإمام أن يخفف الصلاة ، وبالأخص فى زماننا هذا ، ولكن يجب أن يحافظ على تأديتها كاملة ، فلا يقصر فى ركن ، ولا يترك سنة ، وإن إماماً يصلى بالناس ينقر نقر الغراب لا يتم ركوعاً ولا سجوداً فهو من المسيئين ، بل هو أسوأ قدوة وشرُّ إمام . ومن يستدل بما وضعناه عنواناً لهذا الموضوع على الإسراع فى الصلاة ، أذكر له أصل الحديث عليه يرجع إلى الحق ، ويشوب إلى الرشد . والحديث قاله الرسول لمعاذ بن جبل :

فقد كان سيدنا معاذ يصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع

فيؤم قومه ، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة ، فانصرف رجل من المصلين ، فكأن معاذ تناول منه ، فبلغ النبي ذلك ، فقال : فتان ! فتان ! فتان ! وأمره بسورتين من أوسط المفصل . وفي بعض الروايات قال له : « فلو لا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ! فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة » ولعل أكون قد أرشدتك في هذا الموضوع ، فتعطى صلاتك حقها ، وبالله التوفيق .

تسوية الصفوف

وفضل الصف الأول

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها » فقلنا : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الأولى ويتراصون في الصف .

وقال صلى الله عليه وسلم : خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ؛ وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها . رواه مسلم . وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا يقول : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » . وكان يقول « إن

الله وملائكته يصلون على الصفوف الأول ، رواه أبو داود .
كل هذه الأحاديث الشريفة ، وأمثالها كثير ، يُظهر لك فضل
الصلاة في الصف الأول ، والأمر بتسوية الصفوف .

صلاة الجمعة

هي فرض عين على كل مكلف ، لا يتخلف عنها من غير عذر
شرعى إلا من طبع الله على قلبه . فعن عبد الله بن عمر وأبي هريرة
أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره :
« لينتهين أقوام عن ودعهم — تركهم — الجمعات ، أو ليختمن الله
على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم .

ويوم الجمعة هو خير الأيام ، وفيه ساعة يجيب الله فيها الدعاء .
ففي الحديث « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة . فيه خلق
آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر يوم الجمعة فتعال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو
قائم يصلى يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه ، وأشار بيده يقللها » .
البخارى ومسلم .

ومن شعارها : النظافة ، نظافة الجسم والشباب ، واستعمال
الطيب . فعن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهن ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، البخارى .

وهذا يبين ما للنظافة من شأن . و « النظافة من الإيمان » .
ومن المنهى عنه يوم الجمعة إيداء المسلمين الذين حضروا الصلاة بأكل ذى الرائحة الكريهة ، كالبصل ، والكراث ، وغيرهما ؛ فقد ر الثياب والجسم يكون النهى فيه أكد وأشد .

ومن المرغب فيه يوم الجمعة : الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم . فعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، رواه أبو داود . وقد أكرت عليك فى الصلاة ، فاستروح معى إلى تلك الحكاية الوعظية ، وبعد ذلك أذكر لك فصولاً نختتم بها القول فى الصلاة .

إلى المترفين

قال رجل : خرجنا من المدينة نريد حج البيت ، فلما كنا بالراوية نزلنا ، فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة ، وله منظر وهيبة وصورة جميلة ، فقال : من يبغي خادماً ؟ من يبغي ساقياً ؟ فقلت :

دونك هذه القربة . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طيناً ، وأثرت القربة في كتفيه ، فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ، ثم قال : ألكم غيرها ؟ قلنا لا ؛ وأطعمناه قرصاً بارداً . فأخذه وحمد الله سبحانه ، ثم اعتزل وقعد يأكل أكل الجائع ، فأخذتني عليه الشفقة ، فتممت إليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه ، فقلت : قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع ، فدونك هذا الطعام . فنظر في وجهي وتبسم وقال : يا عبد الله إنما هي فورة جوع فلا أبالي بأى شيء رددتها عني ! فرجعت عنه . فقال لي رجل إلى جنبي : أتعرفه ؟ قلت لا . قال : إنه رجل من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب ، وكان يسكن البصرة ، فتاب ، فخرج منها ففقده فما عرف له أثر . فأعجبني قوله ، ثم اجتمعت به ولاطفته وقلت له : يا فتى أنا رجل من إخوانك ، وقد عرفت موضعك ، فأحب الاتصال بك ، فهل لك أن تعادلني فإن معي فضلاً من راحلتني ؟ فقال : جزاك الله عني خيراً ، ولو أردت هذا لكان لي معداً

ثم حدثني حديثه فقال : أنا رجل من ولد العباس ، كنت أسكن البصرة ، وكنت ذا كبر شديد وتجب ، وإني أمرت خادماً أن تحشو لي فراشاً من حرير ومخدة بورد نثير ؛ فبينما أنا نائم إذا بقمع وردة قد غفلت عنه الخادمة ، فقممت إليها فأوجعتها ضارباً ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة ، فأتاني آت

فى منامى فى صورة فطبعة فهرنى وقال لى : أفق من غشيتك ، وأبصر
من حيرتك ، ثم أنشأ يقول :
ياخذ إنك إن توسد لىناً وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحاً تسعد به فلتند من غداً إذا لم تفعل
قال : فانتبهت من نومى فزعاً ، وخرجت من ساعى هارباً إلى
ربى . فهذا خبرى ! ثم مضى .

صلاة المسافر

يريد الله سبحانه وتعالى بعبادة فيما شرع لهم من الأحكام اليسر
ولا يريد بهم العسر ، فلا يكلف سبحانه الخلق ما فيه عسر ومشقة
« وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

ولما كان السفر قطعة من العذاب ، لما فيه من المشقات ، ومفارقة
الأهل ، ومخاوف الطريق ، وتوقع الأخطار ، رخص للمسافر قصر
الصلاة ؛ فيصلى الظهر ركعتين ، والعصر والعشاء كذلك . ويبقى
الصبح والمغرب على حالهما « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولا أدرى ما يمنح المسلم من تأدية الصلاة وهو مسافر . وما أجمله
منظراً حين يقوم الرجل للصلاة والقطار يسير ، لعله يتذكر وهو
واقف بين يدى الله أن مثل الحياة الدنيا فى سرعتها وانقضائها وفناء
من عليها كمثل القطار السريع ، يقطع المسافات البعيدة فى الزمن

اليسير . ولصلاة المسافر ومقدار المسافة التي يصح فيها القصر تفصيلات في كتب الفقه ، فارجع إليها إن شئت .

صلاة التطوع

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد مسلم يصلي كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة : أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة » .

وصلاة التطوع تشمل صلاة الوتر (أبو حنيفة يقول بوجوبه ثلاث ركعات وفي آخرهن القنوت) وصلاة التراويح في رمضان ، وكل نفل غير الفرائض . وأفضل الصلاة صلاة الليل . ففي الحديث : « وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

السهو في الصلاة

المرء عرضة للذهول في بعض الأوقات ، وللشك والنسيان فليست العصمة من ذلك إلا الله رب العالمين .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « صلى النبي صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي — الظهر — ركعتين ، ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد ، فوضع يده عليها ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فهابا أن يكلماه ، وخرج سرعان الناس — هموا بالخروج

مسرعين — فقالوا (بعض الصحابة) : أقصرت الصلاة ؟ ورجل يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ذا الدين ، فقال يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ فقال : لم أنس (في ظني) ولم تقصر ، فقال : بلى قد نسيت . فصلى ركعتين ثم سلم ، ثم كبر ثم سجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، رواه البخارى .

ويؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سها في صلاته ؛ وسهوه صلوات الله عليه للتشريع ، ولتعليمنا كيفية صحة صلاتنا إذا سهونا . فمن سلم على رأس الركعتين في الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء ، أو ترك الجلوس كذلك ، أو قام من جلوس الرابعة أو ترك قراءة السورة سهواً في الأولين ، لزمه في كل ذلك أن يسجد للسهو سجدة تين ، ويتشهد ويسلم .

كذلك من شك في صلاته صلى أربعاً أم ثلاثاً ، لزمه أن يبني على الأقل — أو على يقينه — ويأتى بما يتم صلاته ، ويسجد للسهو . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد للسهو قبل السلام وبعد السلام . والكل جائز ، والأئمة كلهم من رسول الله ملتمس .

والمأموم إن سها فلا شيء عليه . أما إن سها الإمام فعليه السجود للسهو ، وعلى من خلفه ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس على من خلف الإمام سهو ، فإن سهى الإمام فعليه وعلى من خلفه ، رواه الترمذى والبيهقى .

وقد أكثرت عليك في ذكر أبواب الصلاة ، لأنها عماد الدين ،
من أقامها أقامه ، ومن تركها هدم دينه ؛ ولأن كثيراً من الناس قد
فرطوا في المحافظة عليها ، لاهتمامهم بحظوظهم النفسانية ومتعهم
الجسدية ، أو لاشتغالهم بمصالحهم الدنيوية وتكالبهم على حطام
الدنيا الفاني ؛ وإلى هؤلاء وأولئك نسوق قول الله تعالى «يا أيها الذين
آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . ومن يفعل ذلك
فأولئك هم الخاسرون » . ومع ذلك فقد تركت أبواباً كثيرة مثل
صلاة الجنائز والعيدين والاستسقاء والخوف فإن أردت
التفقه في صلاتك فعليك بكتاب الفقه على المذاهب الأربعة الذي
قامت بطبعه وزارة الأوقاف .

الأذان

لما كانت الصلاة هي العماد الأقوى لهذا الدين الخفيف ؛
حيث إنها تذكر العبد بمولاه ، وتصل روحه بالذي خلقه وسواه ،
والإسلام دين اجتماع وألفة ، وتآخ ومحبة ، لذلك حُبب إلى
أبناء الإسلام المحافظة على ما يجمع شملهم ، ويربط قلوبهم ويذكرهم
ببعضهم ، فشرع للمؤمنين الصلاة ، ورغب أن تؤدي جماعة ، .
كي تكثر المحبة والتواد ، والرابطة تقوى والميل يزداد ؛ والصلاة
تتكرر كل يوم خمس مرات ، فكيف يعرفون الأوقات ، وماذا

يفعلون عند إرادة الاجتماع للصلاة ؟ لا بد من أمر به يستيقظ الغافل . ويذكر الساهى . فاجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتشاورون في ذلك ، فقال رجل : نوقد ناراً على أعلى جبل وفي ذلك ما يكفي لإعلان المؤمنين بحلول وقت الصلاة ، فلم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . وقال آخر : نرفع راية ، فرفض ذلك أيضاً . وقال آخر : ننفخ في بوق ، فلم يقبل . وقال آخر : نضرب ناقوساً فلم يقبل ذلك . وقال آخر : ننادى للصلاة . فقبل هذا الاقتراح . وبعد ذلك رأى عبد الله بن زيد أحد المنادين للصلاة رؤيا نقصها عليك كما وردت في الحديث الصحيح ، ونصه :

« لما كثرت الناس ذكروا أن يعملوا وقت الصلاة بشئ يجمعهم لها ، فقالوا : لو اتخذنا ناقوساً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك للنصارى . فقالوا : لو اتخذنا بوقاً . قال : ذلك لليهود . فقالوا : لو رفعنا ناراً . قال : ذلك للنجوس . فافترقوا . فرأى عبد الله ابن زيد ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « طاف بي وأنا نائم رجل فقال : تقول الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، حتى على الفلاح ، الله أكبر »

الله أكبر ، لا اله إلا الله . قال : فلما أصبحت أتيت رسول
صلى الله عليه وسلم ، فقال : انها لرؤيا حق .

ثم قال له لقن ذلك بلالا فإنه أندى منك صوتاً . وبينما بلال
يؤذن إذ أتى عمر يجر رداءه ، فقال : والله لقد رأيت مثله يا رسول
الله وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد حي الفلاح : الصلاة
خير من النوم ، مرتين ، وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على
ذلك . وكان يأمر بلالا في فجر رمضان بأذنين ، أحدهما تنبيهاً
للغافلين حتى لا يفوتهم السحور ، والأذان الثاني للصلاة .
وأما أذان الجمعة فكان أوله إذا جلس الإمام على المنبر في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، فلما كثرت الناس في زمن
عثمان واشتغلوا بأمور الدنيا ، زاد أذاناً آخر على الزوراء وأبقى الأول
كما كان . وفي عهد هشام بن عبد الملك جعل الأذان الذي زاده
عثمان على المنار وجعل الأذان الذي كان على المنار ، بين يديه . وإلى
ما قبل صلاح الدين الأيوبي كان المؤذن يقول عقب الأذان : الصلاة
والسلام عليك يا أمير المؤمنين ، حتى على الصلاة فجاء صلاح الدين وأمر
أن يبدل ذلك بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله .

وقد ولع المسلمون بهذه الزيادة وانقسموا إلى فريقين ، كل
فريق يضلل الآخر ، ففريق يقول إن هذه الزيادة لم ترد عن الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا عن واحد من الأئمة الأربعة ،

ونحن أمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداع ، وكل بدعة ضلالة . . . كما في الحديث . والفريق الآخر يقول لا بأس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عقب الأذان ، وهو بدعة حسنة .

والذي أنصح به إخواني المسلمين وأرجو لهم به السلامة ؛ أن يتقفوا عند ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأن لا يزيدوا شيئاً ، فإن أبوا فليترك الأمر لله ، فإن صلى وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بينا له السنة بالحسنى ، وإن ترك ذلك ووقف عند الأذان الشرعي حمدنا له فعله . ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

وأما الإقامة فقد اختلفت فيها الروايات ، فرواها محمد بن إدريس الشافعي مفردة إلا لفظ « قد قامت الصلاة » فثنى . ورواها مالك بن أنس مفردة كلها . ورواها أبو حنيفة النعمان مثني كلها .

وإني ذاكر لك بعض ما ورد من فضل الدعاء بين الأذان والإقامة : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » ، رواه النسائي . والحديث دليل على قبول الدعاء بين الأذان والإقامة . وإليك بعض الأدعية الواردة :

(١) أن يقول « رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » ، قال صلى الله عليه وسلم : إن من قال ذلك غفر له ذنبه .

(٢) أن يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) أن يقول بعد صلاته عليه « اللهم رب هذه الدعوة التامة

والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وهذا في البخارى . وزاد غيره : إنك لا تخلف الميعاد .
وأخرج الترمذى من حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : علمنى رسول الله أن أقول عند أذان المغرب « اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك ، فاغفر لى . »
ووردت أدعية كثيرة غير هذه ، فاختر لنفسك ما يحلو .

كرامة سيدنا محمد عند ربه

الاستسقاء

عن أنس بن مالك أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا .
قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة (القطعة الرقيقة من السحاب) وما بيننا وبين سلع (جبل) من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً . ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ،

فادع الله يسكنها عنا . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه
ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ! اللهم على الآكام والظراب وبطون
الأودية ومنابت الشجر ! قال : فأقلعت وخر جناشمى فى الشمس ، رواه
البخارى . وقال عمر بن حمزة حدثنا سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول
الشاعر (هو أبو طالب) وأنا أنظر إلى وجه النبى صلى الله عليه
وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل
رواه البخارى . والسبب فى قول أبى طالب هذا البيت ماورد
أن أهل مكة أصابهم قحط فقالت قريش : يا أبا طالب أقحط
الوادى وأجذب العيال فهلم فاستسقى ! فخرج أبو طالب ومعه غلام
(هو النبى صلى الله عليه وسلم) كأنه شمس تجلت عنه سحابة قتما
وحوله أغيلمة . فأخذه أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ولاذ
الغلام بإصبغه وما فى السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا ،
واغدودق ، وانفجر له الوادى ، وأخصب النادى والبادى ،
فأنشد أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل
رواه ابن عساكر .

وللاستسقاء صلاة كصلاة العيد : ركعتين تصلى فرادى وجماعة ،
ويخطب لها خطبتان فيهما ثناء على الله ودعاء والتجاء إليه فى أن
ينزل الغيث ويرحم العباد .

فكاهة وعظة

روى سمير أن بعض الكبراء سمع برجل مجاب الدعوة عند الله، فذهب إليه وتظاهر بمظهر الضيف، فأضافه الرجل فأقام عنده ثلاث ليال سوياً، فلم ير شيئاً غريباً من زيادة عبادة أو طاعة، وليس إلا المحافظة على الصلاة في أوقاتها.

فسأله عن سبب إجابة دعائه، فقال: يا هذا تلك دعوة نفس عضها الجوع، وصدقت لله في السجود والركوع، فأجاب دعاها، وأعطاهما منها. قال: وكيف ذلك؟ فحدثه أنه حصل في البلد قحط في سنة من السنين، وفي ليلة قرع الباب طارق فخرجت وإذا فتاة جميلة كأنها الشمس المنيرة فشكت إلى ما بها من جوع. فحدثتها ثم راودتها عن نفسها، فقالت: الموت ولا معصية ربى! ثم رجعت من حيث أتت. وبعد أيام عادت وتوسلت إلى، فقلت كما قلت أولاً، فبكت، ثم دخلت البيت وقد أشرفت على الهلاك، ثم قالت: تطعمنى لوجه الله! قلت: لا إلا أن تمكنينى من نفسك! فقالت: الموت خير من عذاب الله! ثم قامت فسرت وراءها فسمعتها تقول: أيا واحداً إحسانه شمل الخلقا بسمعك ما أشكو، بعينك ما ألقى لقد صدمتنى شدة وخصاصة ونازلنى ما بعضه يمنع النطقا كائن ظمآن ترى الماء عينه فلا غلة ترى ولا شربة تسقى تنازعنى نفسى إلى نيل أكلة لذاذتها تفنى وغصتها تبقى

أعصيك بعد الفضل والجود والهدى
وكيف وبالطاعات أستجاب الرزقا

سأتلقيها في نيل حبك سيدى
عساى بها أستوجب القرب والعتقا
فجزعت لما سمعت ، ثم دخل في قلبى الإيمان بالله وحب الخير ؛
فقلت لها : عودى وكلى ما شئت لله ! فعادت وهى فى حال ضعف
لا يكاد يسمع لها صوت . فلما عرفت صدق نيتى ورأتى قدمت لها
الطعام وعرضت عليها ما شاءت ، قالت : اللهم كما أنرت قلبه وهديت
ليه ، فأجب دعاءه ولا ترده خائباً ! فكان ما دعت به ، وصارت لى
زوجة ، والحمد لله .

الصيام

مذهب النفوس ، ومصطفى الأرواح ، ومطهر الأجسام . فله
الأثر العجيب فى حفظ القوى الباطنة ، وحمايتها من الخاط الذى يضر
بالجسم ويفسد المعدة . وفيه من تعويد المرء تحمل المشاق وكبح جماح
النفس والصبر وتربية الإرادة ما لا ينكره إنسان له عقل وتفكير .
ومن فوائده المحسوسة : احساس الصائم بحاجة الفقراء إلى
المساعدة والمعونة ؛ لذا أوجبه الله على جميع الأمم « يأيها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .
والصوم : هو امتناع الشخص عن تناول الطعام والشراب
والمباشرة يوما كاملا « من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس » .

وكما أن الصائم مأمور بالإمساك عن الشراب والمباشرة
والطعام ؛ مأمور بترك القبيح من الكلام . ففي الحديث « من لم
يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .
فان سابه أحد أو شاتمه فليقل « إني صائم ، إني صائم » ؛ إشارة
إلى أن الصوم ينزه النفس ويطهرها ويكبح جماحها ، فلا ينبغي للصائم
أن يبدأ بالسب ، ولا أن يجاوب عليه .

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم « الصيام جنة (وقاية)
فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم —
مرتين والذي نفسي بيده لخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
المسك ! يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي . الصيام لي وأنا
أجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها » .

فإن رأيت « رجلا » تغير خلقه في أيام الصوم ، من الحلم إلى
الغضب ، ومن اللين إلى الشدة ، فاعلم أن الصوم لم يهذب نفسه ولم
يقمع شهوته ، ولا ثواب له في صومه . فالصوم دواء لتعويد كظم
الغيظ وتحمل المصادمات : فإذا لم ينتفع به الصائم فالذنب آت من
قبله . فالمريض الذي يوصف له نوعان من الأدوية ويلزم بتعاطيها
في وقت واحد فيتناول أحدهما فقط ولم يتم شفاؤه ، فالتبعة عليه ،
وليس الذنب على طبيبه الذي وصف له العلاج .

فالصوم رياضة نفسية لا يمارى في ذلك إلا من يحدد المحسوس
وينكر المشاهد .

وليس في الصيام من ضرر إلا على المريض والمسافر والحائض
والنفساء ، والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما الهلاك . وقد
حرم الله سبحانه الصوم على الحائض والنفساء ، بسبب الدم الخارج
منهما . فإنه يضعف صحتهما ، فيحتاجان إلى الغذاء لتعويض ذلك ،
ورخص للباقيين ، وجعل الأمر موكولاً إليهم . فمن رأى في نفسه
قوة على الصوم ولا ضرر ، صام ، وإن رأى ضعفاً أفطر ، وإن
خشى زيادة المرض أو الهلاك ألزم بالإفطار . والصوم على العموم
مفيد لغير هؤلاء صحياً . أثبت ذلك الأطباء حتى من غير المسلمين .
ثم هو عبادة وامثال لأمر الله سبحانه . والمشقة الحاصلة من
الصوم ليست بشيء في جانب رضا الله سبحانه ، طمعاً في المثوبة
والزلفى والأجر العظيم .

وقد لا تتجلى فائدة الصوم في أن يمتنع المرء عن بعض الأطعمة
ويتناول البعض الآخر كما عليه بعض الديانات ، إنما تظهر فائدة
الصيام في الامتناع الكلى عن تناول أى شيء طول النهار .

وإلا فما الفائدة في ترك ذى الروح وأكل البقول والخضر !
وإن كثيراً من الناس لا تساعدهم حالهم المعيشية على أكل ما فيه
الروح وهم لا يشعرون أنهم فقدوا شيئاً مهماً .

فالحكمة جليلة واضحة في التشريع الإسلامى الحكيم .
وارجع إلى كتب الفقه لتعلم أحكام الصيام .

الزكاة

المال محبوب النفس ، يظل المرء حياته يجمعه ، لا يرضيه القليل ، ولا يقنعه الكثير . والمال نعمة من نعم الله العظيمة ؛ به يحفظ الإنسان كرامته ، ويسترعورته . وكل نعمة من النعم لها شكر خاص ، إن قام العبد به أمدده الله برحمته ، وزاده من فضله : « لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » .

وشكر نعمة المال إنما يكون بالإِنفاق منه فى وجوه البر ، واستعماله فيما يرضى الله ويباعد من نقمته . وقد جعل الله فى الأموال جزءاً معلوماً للفقراء والمساكين وسماه زكاة ؛ تؤخذ من أرباب الأموال وترد إلى ذوى الحاجة والمسكنة . فمن أخرجه طيبة به نفسه فقد قام بشكر الله ، ومن بخل به على مستحقه استحق المقت والغضب الشديد . وكيف يبخل الإنسان بمال رزقه من فضل الله ، ولو شاء أن يسلبه إياه ويجعله من الفقراء المحتاجين لفعل ! . بل هذا المال عما قليل سيفارقه المرء لورثته يتنعمون بخيره ، ويصلى هو السعير بسببه ، ويتمثل له حية تنهش جسمه ، وتطوق عنقه ، وتقول له فى تهكم وسخرية : أنا مالك ، أنا كنزك !

ففى الحديث « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة » ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شذقيه — ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ! ، ثم تلا النبى

صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ؛ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » .

ولا ريب أن هؤلاء الذين لا يخرجون زكاة أموالهم ظالمون لأنفسهم وللفقراء ، بل هم بمنعهم الزكاة أفسدوا على المساكين دينهم ، وملأوا قلوبهم بالحسد والحقد والبغضاء ، فمن أين يأكل الفقير ويقضى حاجة من يعوله إن منعته حقه الذى جعله الله له فى مالك ! . لاشك أنه يتربص بك السوء ، ويعيث فى الأرض فساداً ، فيسلب راحة الأغنياء ، ويكون سبباً فى اضطراب الأمن والإخلال بالنظام .

ففى إخراج الزكاة وقاية للأموال من عبث العابثين . وفى الحديث « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة » . فالزكاة التى شرعها الإسلام هى دواء المجتمع ، وطب النفوس ؛ بها يطهر المرء من رذيلة الشح والبخل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ولها فوق ذلك الأثر الحميد فى تخفيف ويلات المحتاجين ، ودفع شُرور المعتدين ؛ ولذا أوجب الله أخذها بالقوة إن امتنع المسلمون عن دفعها اختياراً « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . إن الإسلام وضع نظاماً للزكاة لو سار الناس عليه لانقطع دابر

الاشتراكية المتطرفة ، والشيوعية المسرفة . وفي ذلك راحة الحكام ،
وصرف مجروداتهم إلى ما يعود على الأمم بالفلاح ورغد العيش .
ولم يطلب الإسلام من أصحاب الأموال ما يشغل كاهلهم ،
بل جعل المقدار المطلوب قليلا لا يؤثر فيما عندهم . فالنقود التي
حال عليها الحول زكاتها ٢,٥ ٪ والحبوب إذا حصدها نخرج عنها
نصف العشر إن كانت تسقى بالآلات كالساقية ووابورات الري ،
ونخرج عنها العشر إن كانت تسقى بدون آلات . ومن أراد تفصيلا
أوفى فليرجع إلى كتب الفقه ، وأختم لك باب الزكاة بقول الله تعالى
في الحديث القدسي « يا عبادي أنفق أنفق عليكم » .

الحج

هو مؤتمر المسلمين العام ، فيه يجتمعون من مشارق الأرض
ومغاربها في صعيد واحد ، يعبدون إلهاً واحداً ، قلوبهم متحدة ،
وأرواحهم مؤتلفة . في الحج يتذكر المسلمون الرابطة الدينية ،
وقوة الوحدة الإسلامية . في الحج يتذكر المرء يوم حشر الأجسام ،
واشتداد الزحام ، والعرض على الملك العلام « يوم لا تملك نفس
لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله » .

وللحج فوائد جمّة : منها تصفية النفس ، وتعويدها البذل والإنفاق ،
وتحمل المشاق وترك الزينة والخيلاء . ومنها شعور المرء بمساواته
لغيره ، فلا ملك ولا مملوك ، ولا غنى ولا فقير ، بل الكل هناك سواء .
ومنها اجتماع المسلمين الذين أتوا من جميع بقاء الأرض مهملين

مكبرين ، للتشاور والتعاون فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير العام والنفع العظيم . ومنها إظهار الامتثال والخشوع والخضوع لله رب العالمين .

ومنها التنقل في البلاد لمعرفة أحوالها وعادات سكانها ، وزيارة مهبط الرسل الكرام ، والتمتع بمشاهدة بيت الله الحرام .

وقد أوجب الله الحج في العمر مرة على القادر المستطيع ، فقال سبحانه وتعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

وقال النبي عليه السلام « من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » .

وفي رواية « من لم يمنعه من ذلك حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » . وفي رواية « الحج مرة واحدة في العمر فمن زاد فهو تطوع » .

وأقول لهؤلاء المترفين الذين يسافرون كل عام إلى البلاد الأجنبية ترويحاً لنفوسهم : إن في حج بيت الله أعظم راحة للنفس ، بل في ذلك تكفير لذنوبكم ومروضة لربكم . ففي الحديث « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وفي حديث آخر « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

ومن وفقه الله لحج بيت الله فليوطن نفسه على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن زيارته قرينة يزداد بها المؤمن إيماناً ، وتملأ

قلبه نوراً ، وتحفزه على الاستمسك بهدى الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته .

هذا وقد أصبحت سبل الحج سهلة ميسرة ، والطريق أمناً ، فلا عذر للقادرين فى التخلف عن حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعرفه :

« اللهم إنك تسمع كلامى ، وترى مكافى ، وتعلم سرى وعلا نيتى لا يخفى عليك شىء من أمرى . أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبى . أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضريب ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذلل جسده ، ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقياً ، وكن بى رءوفاً رحيماً ، يا خير المسئولين ، يا خير المعطين ، .

ومن أراد معرفة مناسك الحج ، فليرجع إلى الكتب المؤلفة فى ذلك . وفقنا الله لحج بيته وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم . تلك لمحة قصيرة من مزايا التكليفات العبادية فى الشريعة الإسلامية وهى كما ترى معقولة المعنى ، مفهومة المقصد . ولو بحث المنصفون من أهل الديانات الأخرى فى إرشادات الإسلام وشرائعه لعلوا علم اليقين أنه الدين العالمى الخالد الذى كفل سعادة البشر فى الدنيا والآخرة .

أعز الناس وأغناهم وأقواهم

في الحديث الآتي بيان الأعمال التي تكتسب بها العزة والغنى والقوة ، وفيه بيان الصفات التي تجعل المرء مردو لا شريراً مبغوضاً من الله والناس . والحديث هو :

قال محمد بن كعب القرظي : دخلت على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أحدثُ النظر إليه فتمال لي : يا بن كعب : مالك تحد النظر إلى ؟ قالت : لما نحل من جسمك ، وتغير من لونك ! قال : فكيف لو رأيتني بعد ثلاثة في قبري وقد سألت حد قتاي على وجنتي وابتدر فني وأنفي صديداً ودوداً ، إذا كنت أشد نكرة ! . أعدد على حديثاً كنت حدثتنيه عن ابن عباس . قلت : سمعت ابن عباس يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتيق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده . ثم قال : ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من نزل وحده ، ومنع رفده (معونته) ، وجلد عبده . ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من لا يقبل عشرة ،

ولا يقبل معذرة . ثم قال : ألا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى
يا رسول الله . قال : من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره . ثم قال : ألا
أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من يبغض
الناس ويبغضونه .

فحاول يا أخى أن تكون عزيزاً بتقوى الله ، قوياً باعتمادك
عليه ، غنياً بثقتك فى غناه . فالتقوى تحملك على تلبس أسباب العزة
بالسعى فى الأرض لاكتساب الرزق وتحصيل الثروة بالطرق التى
شرعها رب العالمين .

قيل : مكتوب فى صخرة « كل من كد يمينك ، وعرق
جبينك ، فإن ضعف يمينك ، فاسأل المولى يمينك » .

وتأمل أرشدك الله صفات الأشرار فى الحديث المذكور وتجنبها ،
وكن خيراً يفعل الخير للناس ويحسن إليهم ، ويرحم صغيرهم ،
ويوقر كبيرهم ، يعطف على فقيرهم ويعين بجاهه من لا جاه له .
بذلك تكسب ثناء الناس ، ورضا الله . وقديماً قيل : السنة الخلق
أقلام الحق .

القسم الثالث

أسس لنظام الجمعية الإنسانية وارتباط أفراد الناس بعضهم ببعض . والإسلام — رفع الله لواءه — أتى في هذا الباب بما ليس وراءه أمل لآمل ، ولا زيادة لمسترشد ، فقد كفّل سعادة البشر بشرائعه السامية ، وقوانينه العادلة .

تأمل ما فيه من آداب وأخلاق ، وما شرع من نظم اقتصادية وسياسية ؛ بل كم ترى فيه من أمر بالإحسان حتى إلى أعدائه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » .

يزعم بعض أعداء الإسلام أن تعاليمه لا تحقق السعادة المنشودة من الحياة ؛ وقد تجنبوا على الإسلام بهذه الدعوة المفتراة ؛ فإن الإسلام لم يأت بما يضاد العقول السليمة ، ولم يدع إلى الخمول والكسل وإهمال شأن هذه الحياة ؛ وليس في شريعة الإسلام إلا الحث على الجد والنشاط ، وتحصيل السعادة الحقة ، والتمتع بمباهج الحياة ، واقتطاف ثمارها .

وإلى المنصفين بيان ذلك ، وسيكون رائدى في ذكر إرشادات الإسلام في هذا . . كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
أجمع علماء الشرق والغرب على أن أهم عوامل رقي الأمم وفلاحها ثلاثة عوامل :

(١) عامل اقتصادى . (٢) عامل سياسى . (٣) عامل خلقى .
وأريد أن أبين بإيجاز أن هذه العوامل الثلاثة متحققة فى
الاسلام (وقد شفى الغليل فى بيان هذه العوامل وتحققها فى الشريعة
المحمدية المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى كثير من
مؤلفاته) وقد اقتبس بعض عباراته فى هذا . وأقول : لامغالة
إن قررنا أن الاسلام جاء فى هذا الباب بما يدهش العقول ، ويلجىء
الباحثين أن يقولوا : هذه إرشادات ونظم جاء بها كتاب لا يأتیه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

العامل الأول الاقتصاد

ويشمل :

- (١) العمل . (ب) حسن الصلة بين الأفراد .
(ح) القصد والتوسط فى مرافق الحياة .

(١) العمل :

بلوغ الأمة درجة الكمال الاقتصادى لا يكون إلا بكثرة الأيدى
العاملة ونشاط الأفراد ، بحيث يكون لكل فرد عمل يزاوله ويتوفر
على إتقانه . فإذا كسلت أفراد الأمة عن العمل ، وفشت بينهم
البطالة والخنول ، وأصبحت بضاعتهم كلاماً بدون فعل ، فهذه الأمة
على شرف الزوال ، بل بشرها بالاستعباد والذل المقيم .
ومن يتأمل تعليمات الإسلام يرى أنها حضت على العمل حضاً

شديداً ، ورغبت فيه بأساليب متنوعة جذابة ، فرة تبين لنا إرشادات الإسلام أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض مهيأة سهلة ذلولا نقدر على استثمارها والانتفاع بخيراتها ، ويزيد الإسلام على هذا أمرنا بالسعى في أطرافها لاستخراج كنوزها والتمتع بلذاتها فيقول « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » . ويقول « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » .

لأدرى لم ألصقت تهمة الخمول والتواكل للإسلام مع تحريضه الشديد على السعى والجد لنيل السعادة والعزة ؟ وهذا نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يرغب في السعى والعمل لطلب الرزق بعبارات جذابة ملهبة ، فيقول « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود — مع ما أوتيته من الملك — كان يأكل من عمل يده » . ويقول صلوات الله عليه « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » .

بل من إرشادات الإسلام « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج ، وإنما يكفرها الهم في طلب المعيشة » . فآين دعوى التواكل في الإسلام مع هذه الإرشادات السامية النبيلة ؟ أقول : قد جاءنا ذلك من حيث نمنا واستيقظ غيرنا ، وكسلنا وجد سوانا ، فلا بالأوائل من أبناء ديننا الذين ضربوا في الحياة بسهم عظيم وكانوا كالشمس المشرقة على العالم في سماء الكون

حتى أدهشوا الأمم بمخترعاتهم وأعمالهم ، اقتدينا ، ولا بتعاليم ديننا عملنا ، بيد أنى أرى بوادر تبشر بالخير ، فحسى أن يشوب المسلمون إلى رشدهم ، ويهبوا من رقادهم ، وينافسوا الأمم فى مضمار العمل .
(ب) حسن الصلة بين الأفراد :

حسن الصلة بين أفراد الأمة برهان كمال رقيها الاقتصادى ، فتمتى قويت تلك الصلة سارت فى سبيل السعادة بقدوم ثابتة ، وبلغت ذروة المجد وأوج الفلاح .
فحسن الصلة بين أفراد الأمة سر نجاحها ، ووفرة الثقة بينهم أساس قوتها وعزها .

والإسلام يرغب فى هذا بعبارات جذابة تأخذ بمجامع القلوب فتراه يقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ويقول وصفاً للرسول وأصحابه « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . ويقول « من غشنا فليس منا » فاعتبر الغاش ليس من المؤمنين ، لأن الغش لا يستقيم به حال أمة ، ولا تسعد جماعة فشا بينها هذا النوع المزرى بالكرامة المضيع للثقة .

(ح) التوسط فى مرافق الحياة :

لا تنال أمة السعادة ، ولا تبلغ درجة الكمال الاقتصادى إذا كان أفرادها مسرفين فى لذاتهم وشواتهم ، ينفقون بالشمال ما تجمععه

اليمين . كذلك لا تكون لها عزة ، ولا فلاح إذا كان أفرادها أشجة بالمال حريصين عليه ، لا يجودون ببعض منه فيما يعود على أمتهم وببلادهم بالرفاهية ، وعلى الإنسانية بالمنفعة ؛ إنما تتحقق السعادة بالتوسط في ذلك ، إذ كلا طرفي قصد الأمور ذميم ،

وقد أبان الدين الإسلامي ذلك أيما بيان ، ونفر من الإفراط وحذر من التفريط ، ودعا إلى الاعتدال بأسلوب تخشع له البصائر ، وتنجذب إليه القلوب ، فقال « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً » . وزاد على ذلك أن جعل المبذرين إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً .

وقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على عباد الرحمن بأنهم « إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » .

ولما أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يتصدق بثلثي ماله ، استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال له : لا . فاستأذن أن يتصدق بالشطر « النصف » فقال له الرسول : لا . فقال سعد : فالثلث يا رسول الله ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، أو كبير وإنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . وفي الأثر : « ما عال من اقتصد » .

تلك بعض إرشادات الإسلام في باب الاقتصاد ، وهي كما يرى المنصف قيمة سامية ، لو سار المسلمون عليها لكان لهم شأن غير ما هم فيه الآن .

ونكتفي بهذه اللوحة في باب الاقتصاد ، لنذكر لك كلمة عن العامل الثاني من عوامل رقى الأمم :

العامل الثانى

سياسة الامة

سياسة الأمم ضربان : سياسة داخلية ، وأخرى خارجية . وتعود الأولى إلى وضع الأنظمة وسن القوانين النافعة التي تحسن الصلات بين الناس في معاملاتهم ، وتنظيم بناء الأسر ، وربط العائلات بعضها ببعض ، وبيان مال كل فرد من تركة غيره ، وتولية الحكام الذين يقومون بتنفيذ القوانين ، ونشر الأمن بين الناس ، وما إلى هذا مما يعود على الأمة بالتقدم والرفاهية .

وترجع السياسة الخارجية إلى علاقة الأمة بغيرها من الأمم الأخرى ، وذلك إما أن يكون عداً وخصاماً ، أو مودة وسلاماً . ولكل اعتبار .

هذا وإن اضطراب الأمة في داخليتها دليل فشلها ، ونذير استعبادها ، وشارة ضعفها ومحوها من سجل الأمم . ولا عصمة لأمة من الوقوع في مهالك الردى والفوضى ، إلا بوضع قواعد حكيمة ، تقيا شر الاضطراب ، كوضع الأنظمة للأحوال الشخصية ، والموارث ، وتنظيم عملية القرض ، والاقتصاص ممن يجاوزون

حدود الآداب، وما إلى ذلك مما لا بد منه لحياة أمة في رغد وطمأنينة.
وشرائع الإسلام في هذا وافية كافية .

اقرأ إن شئت آية المواريث ، وتأمل وجه المصلحة في شرع
العليم الخبير « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ؛
فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها
النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ،
فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه
السدس ، من بعد وصية يوصى بها أو دين ، أبأؤكم وأبنأؤكم ،
لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، إن الله كان عليما
حكيمًا ، إلى آخر آيات المواريث .

وانظر شرع الاسلام وحكمه على الذين يعيشون في الأرض
فساداً ، ويخلون بالأمن ، ويقطعون الطرق ، ويسلبون راحة الناس
« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن
يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا
من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .
وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم إسناد الحكومة والقضاء
والولاية لمن ليس لها أهل ، علامة على قرب الفناء والزوال ، فقال
صلى الله عليه وسلم : « إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .
كذا ترى الإسلام وضع أحكم نظام للقصاص « يأيها الذين
آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر ، والعبد بالعبد ،

والأثني بالأثني ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . وفي آية أخرى يقول الله عز وجل : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » . وانظر إلى نظامه في العمل على حفظ الديون « يأبى الذين آمنوا إذ تدانيتهم بدین إلى أجل مسمى فكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب أن يكتب كما عليه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً » .

ولما كان من الناس من ضعفت ذاكرته ، كما أن منهم من فسدت دمه ، جعل أمر إملاء ما على هؤلاء من الديون إلى المشرفين على مصالحهم ، فقال : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » .

ثم طلب لهذا العقد بل لجميع العقود ما يوثقها بالإشهاد عليها حتى لا ينكر مدين ما عليه لدائنه ، فقال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » . وحذر الشهود وأنذرهم عاقبة كتمان الشهادة ، وتوعدهم بالعقاب إن كتموها ، فقال : « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » .

ونظر إلى الأحوط في حال السفر ، فشرط أن يدفع المدين رهناً لدائنه إلا أن يكون بينهما حسن ثقة ، فقال : « وإن كنتم على

سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد
الذى أوتمن أمانته ، وليتق الله ربه .

وقال أمراً للحكام بالعدل في الأحكام : « وإذا حكمت بين الناس
أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماً يعظمكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً .
وكذا تراه نهى عن الاستبداد وتحكم الأفراد في الجماعة ،
فأمر بالمشاورة ومدح عليها ، فقال : « وشاورهم في الأمر ، وأمرهم
شورى بينهم » .

فأنت ترى — أرشدك الله — أن الاسلام لم يترك شيئاً مما
ينظم سياسة الأمة الداخلية إلا وضع له الأنظمة المتقنة المحكمة .
ومالم يذكر بالعبارة الصريحة ، يستنبط من أصوله الرشيدة وقواعده
العامّة ، حتى صح أن يقول : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .
ولذا يعجب العقلاء — وهذا قانون الاسلام — من استبداله
بقانون أجنبي من وضع البشر يحكم به في أمة دينها الاسلام ! .

وأما سياسة الأمة الخارجية ، فقد أسلفنا أنها إما أن تكون
عداء وخصاماً ، أو مودة وسلاماً . ففي الحالة الأولى يلزم أن تعد
لعدوها ما تقدر عليه من آلات الجهاد ، كتجهيز الجيوش ، واختيار
القواد ، وإذكاء الحمية في نفوس الجنود حتى يصير الموت أعذب
لديهم من الحياة ، فيصمدوا للأعداء ، ويستبسلوا في الدفاع .
والحرب فن من الفنون له أنظمة وقوانين ، وقد أسست الشريعة
المحمدية قوانينه ، وبينت كيف يكون الاستعداد لحماية الأوطان ،

يرشد إلى هذا قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، فقوله سبحانه : من قوة ، شامل لكل آلات الحروب من سيوف وبنادق ، ومدافع وطائرات في الهواء ، وغواصات في الماء ، ومواد كيمياوية وغازية ، وسائر آلات الدفاع والحرب .

وانظر إلى الاسلام كيف يبحث القائد على تحريض جنده على القتال والجندي بالتفاني فيه ، فيقول :

« يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ، بأنهم قوم لا يفقهون » .

ويقول : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يـرجون » .

ويبين أن النصر ليس بالكثرة ، إنما يكون بالشبات والصبر على مشاق القتال ، فيقول : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » .

وتراه ينهى عن الفرار ويبين ألا فائدة منه إلا العذاب في الآخرة والخزى في الدنيا ، فيقول : « يأياها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفوا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم ، وبئس المصير » . ويقول : « قل لن ينفعكم الفرار

إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً . ويعين مواضع الطعن فيقول : « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » . ويحض على تعديل صفوف المجاهدين وسد الفرج بين الجنود حتى لا تكون فرصة للعدو ، فيقول : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

هذه بعض إرشادات الإسلام في حال الخصام والعداء .
واليك طرفاً منها في حال السلم والصفاء ، ولا أجد ما أقدمه برهاناً على أن الإسلام دين سلم ومودة لكل الأمم : خيراً من قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم » .

ثم إنه تارة يكون بين أمة وأخرى عهد بترك القتال لأمد محدود أو مرسل ، أو لا يكون ، بأن لم يكن سبق بينهما نزال ؛ وقد نبه الإسلام إلى وجوب حفظ العهود وعدم نقضها ، إلا إذا بدت خيانة فقال : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » ، وقال : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » ، وقال : « وإما تخافن من قوم خيانةً فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » ، وقال « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، إن الله يحب المتقين » ، وقال في أهل الذمة : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » و « من آذى ذمياً فليس منا » .

هذا قليل من كثير مما يختص بسياسة الأمم الداخلية والخارجية .
وقد تركنا الكلام على مشروعية القتال في الإسلام ميلا إلى
الإيجاز ، وطالب الحق يقنعه القليل ، والمتعنت لا ينفعه الكثير .

العامل الثالث في رقى الأمم

الأخلاق

بقدر ما تحوز الأمة من الكمال الخلقى يكون رقيها وفلاحها .
فإذا سمت الأخلاق في أمة من الأمم سعد أفرادها وحسن حالها ،
وبزت غيرها في ميادين الحياة . وبالعكس : إذا تدهورت أخلاقها
وعبث أفرادها بالفضيلة ، ومرتوا على الشر ، وصارت الكرامة
يبنهم نسباً منسياً ، دل ذلك على زوال سلطان هذه الأمة وفناء
أفرادها ، وسقوط هيبتها ، وقرب انتهائها وزوالها من صفحة الوجود .
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
والأخلاق شجرة لها أصول أربعة ترتكز عليها ، وهى :
(١) الشجاعة (٢) العفة (٣) الطعن (٤) الحكمة .

الشجاعة

الشجاعة ضربان : حسية ، ونفسية ، وكلاهما من الضروريات
لعيش الأمم فى رفاهية وهناءة . فبالأولى يكون الذود عن الأوطان
وحماية الأعراض والأموال ، وبقدر قوة فتیان الأمة يكون عزها

وهيبتها ، وبقدر ضعفهم يكون ذلها واستعبادها . والمشاهدة أكبر برهان وأعظم حجة .

والناظر في الشريعة الإسلامية يرى أن الإسلام حث على تحصيل هذه الشجاعة ورغب فيها بأساليب متنوعة تذكي في القلوب الحمية ، وتدفع النفوس إلى خوض غمار الحرب راضية مطمئنة . اقرأ إن شئت قول الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتَلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » . فأى حث على تحصيل الشجاعة أقوى من هذا .

ويقول الله في آية أخرى « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغرب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » .

بل ترى الإسلام يبين أن الموت لاحق بكل إنسان ولو تحصن بالقلاع ، فيقول « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » . وهكذا تراه يدفع إلى المغامرة بالنفوس وبيعها في سبيل الله ، ويذكر أن من كتب عليه القتل لا بد واقع به لا يحول دون تنفيذه التخلف عن صفوف المجاهدين « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم » .

بهذه التعاليم السامية التي عمل بها السابقون الأولون الذين

أشربوا حب الإيمان في قلوبهم ، انتصر المسلمون على أعدائهم ،
وقهروا القياصرة ، وهزموا الأكاسرة ، وفتحوا من البلاد في قرن
واحد ما لم تستطع أقوى الأمم أن تفتحه في ثمانية قرون ، مع قلة
عددهم ، وضآلة عددهم ، وكثرة أعدائهم ، وقوة استعدادهم .

ومن يتأمل قصة ذلك الصحابي (عمير بن الحمام) حين سمع
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحض على الجهاد قائلاً : والذي
نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً
غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ! ، وكان بيد ذلك الصحابي تمرات
يأكلها ، فألقى بها وقال : بخ بخ ! ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن
يقتلني هؤلاء ! ثم قذف بالتمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل .

من يتأمل هذا يعلم ما كانت تفعله تلك الإرشادات الإلهية في
إذكاء الحمية وإثارة بواعث الشجاعة في نفوس المؤمنين الصادقين .

وأما الشجاعة المعنوية فما نعلم ديناً أتى بمثل ما جاء به الإسلام
في الحث على اكتسابها والتحلل بها ؛ من ذلك أنه أوجب تخصيص
طائفة من المسلمين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا يخافون
في الله لومة لائم « ولتكن أمة يدعون إلى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وأخبر أن فضل هذه الأمة على سائر الأمم إنما هو بقيامها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر « كنتم خير أمة أخرجت
للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ،

وقال وصفاً للمؤمنين «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» .

بل إن الإسلام أوجب منع المنكر بالقوة إن كان ذلك بالاستطاعة ، وإلا فباللسان ، وإلا فبالقلب . وعد عدم إنكار المنكر بأحد هذه الثلاث خروجاً من الدين ، وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن يستطع فبقلبه » . وفي رواية أخرى زيادة « ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . وبما ذكر نعلم أن إنكار المنكر أمر محتوم على المسلمين القيام به ، لا يفرقون فيه بين أمير وحقير ، وحاكم ومحكوم .

وإنى أقول والأسى يملأ الفؤاد : لو أن عندنا معشر رجال الدين من الثقة بالله ما يدفعنا إلى إنكار المنكر على الكبير والصغير والعظيم والحقير ، لكان لنا وللدين في هذا البلد شأن آخر . ولكن فترت الهمم ، ووهنت العزائم ، حتى أصبح المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

العفة

هي الأصل الثاني من أصول شجرة الأخلاق .

والعفة سر النجاح ورأس الفلاح ، ونور الهداية ونبراس الفضيلة . ولو لم يكن من آثارها الجميلة سوى البعد عن جريمة الزنى

لكفى ذلك فى التمسك بها والتعلق بأذيالها. والكلام على العفة يحتاج إلى سفر مستقل ، كيف لا وهى سر أمانة التاجر مع عميله ، والخادم مع مخدومه ، والوزير مع مليكه ، وبها ترد الودائع ، وتحفظ الأعراض ، وتمنع الجرائم ، وخاصة جريمة الرشوة ، وبها يزداد المرء ثقة بالله وغنى عن الناس ، والعفة لب الشريعة الإسلامية ، ونور الهداية المحمدية .

وأفضل العفاف كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم « عفاف البطن والفرج » ، يعنى عن الحرام .

ومن يتأمل ما قصه الله على البشر من شأن يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، وكيف كانت عفته سبباً فى جعله على خزائن الأرض وزيراً لمالية مصر يصرفها كيف يشاء ؛ من يتأمل هذا يرى أن الإسلام رغب فى العفة أيما ترغيب .

العدل

وهو الأصل الثالث من أصول الأخلاق .

والعدل نظام الوجود ، لا يستقيم بدونه حال فرد ولا جماعة ، فلا بدع أن سماه بعض الحكماء ركن الوجود الأقوى ، كما أطلق عليه بعضهم « المحور الذى يدور عليه الكون » .

والعدل قسمان : عدل الشخص مع نفسه ، وعدله مع غيره . فعده مع نفسه يكون بوقايتها من الوقوع فى الموبقات والبعد عن

المحرمات ، فلا ينقصها حقها من النعيم بارتكاب الشرور والآثام .
فهؤلاء العصاة الذين يخالفون أوامر ربهم ويغضبونه بفعل ما يكره
قد ظلموا أنفسهم ، وما ظلمهم الله .

وعدل الشخص مع غيره يتحقق بإعطاء كل ذي حق حقه .
فإن كان حاكماً عدل فيمن ولاه الله عليهم ، وإن كان رب أسرة سوى
بين أفراد أسرته في المعاملة ، وهكذا . . .

والعدل في الذروة والسنام من التعليمات الإسلامية ، فقد قال
علماء الإسلام : الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم . ومعناه
الملك يدوم مع الكفر والعدل ، ولا يدوم مع الظلم والإيمان .
ويؤيد هذا قول الله تعالى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
مصلحون » ، والمراد كما قال غير واحد من المفسرين : إن الله لا يهلك
أهل قرية بسبب كفر أهلها ماداموا عادلين . وتسمية الكفر ظلماً
هو الذي عليه قوله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » .

وقد أمر الله بالعدل ونهى عن الظلم فقال سبحانه : « إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

ونهى سبحانه أن يكون البغض والشقاق داعيين لعدم العدل .
فقال جل شأنه « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا
هو أقرب للتقوى » .

ورغب النبي صلى الله عليه وسلم في العدل بقوله : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . »

وقال صلوات الله عليه « ثلاثة لا ترد دعوتهم ؛ الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل . ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي لأُنصرك ولو بعد حين . »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم من إمام عادل ، أفضل من عبادة ستين سنة ، وحمد يقام في الأرض بحقه أزكى من مطر أربعين صباحاً . »

وفي حديث آخر « أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً : إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً : إمام جائر . »

وكما رغب في العدل حذر من الظلم وبين أنه ظلمات يوم القيامة ؛ ففي الحديث « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة . »

وفي حديث آخر « من ولى أمة من أمتي قلت أو كثرت فلم يعدل

فيهم كبه الله على وجهه في النار . وفي حديث عن ابن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله مع القاضى ما لم يحجر ، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان » .

وإني أذكر لك حديثاً ينم عن حالنا ، ويكاد يكون وصفاً لزماننا : روى ابن ماجه والبخار واللفظ له : « السلطان ظل الله تعالى في الأرض ، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ؛ فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر . وإذا جارت الولاية قحطت السماء ، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشى ، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أخفرت الذمة (نقضت) أدبيل الكفار ، (غلبوا المسلمين) . هذه بعض تعليمات الإسلام في الأمر بالعدل والنهي عن الظلم ، لو تمسك بها الحاكم والمحكوم لسعد حالنا وكنا أعز الأمم وأرقاها والأمم لله من قبل ومن بعد .

الحكمة

هى الأصل الرابع من أصول الأخلاق . والحكمة ثمرة العلم ونتيجته : وهى عند الحكماء « معرفة حقائق الأشياء على ما هى عليه بحسب الطاقة البشرية ، وعند غيرهم « هى إصابة الصواب فى القول والعمل » . والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها ، لا يبالى من أى وعاء خرجت . « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » . وأى خير

أعظم من الهداية إلى الحق ، والصواب في القول والعمل .
وهناك أخلاق أخرى مهمة تكاد تلحق بهذه الأصول ، كالصبر ،
والصدق ، والصراحة ، والسماحة ، والحياء ، والمروءة ، والحلم ،
وإن كانت متفرعة منها .

الصبر

ملاك الفضائل وأصلها ، به يصبح العبد حراً والذليل عزيزاً ،
وبه يقوى المرء على مجالدة الحياة وعنائها ، والرزايا وضرائها . فهو
عنوان الرجولة الناضجة ، وضياء الفضيلة الإنسانية . فلا عجب أن
جعله الاسلام من باب الإحسان ، ورغب فيه بقوله « واصبر إن
الله لا يضيع أجر المحسنين » .

ووعده الصابرين أجراً بغير تقدير « إنما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب ، وعده من عزائم الأمور وأمر به فقال سبحانه
في كتابه الكريم « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .
وأخبر رب العالمين أن الصابر معان بالنصر والتأييد من الله العزيز
الحميد فقال « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع
الصابرين » . وبين نبي الاسلام أنه نصف الإيمان فقال ، الإيمان
نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر « وقال » من تأتى أصاب
أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد .

والصبر سبب من أسباب تيسير الأمور كما في حديث « واعلم
أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً »

والصبر نوعان : صبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي :
والثاني أشقهما على النفس ، فمن رزق الصبر على طاعة الله تعالى
وعن معصيته فقد حاز الفضائل أجمع ، ونال سعادة الدنيا والآخرة
وكان عند الله وجيهاً ،

الصدق والصراحة

هما دليل الأمم إلى السعادة واكتساب المحامد ، مافشيا في أمة
إلا أنارا لها سبيل المجد والسؤدد ، وبلغا بها أوج السكال والرفعة ؛
وبالعكس إذا انتشر في أمة الكذب والضعف عن المجاهرة بالحق
قولا أو عملا ، ضاعت الثقة بها ، ووسمت بالجن ، وهوت إلى
الخصيض الأسفل ؛ ولا قيام لها من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى
الصراحة والصدق . وإذا أردنا أن نتعرف مكان هاتين الخلتين في
الشريعة المحمدية وجدناهما في الذروة العليا من إرشاداتها النبيلة :
أنظر إلى مدح الله لرسوله إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم
« واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا » .
إن الإسلام أمر بالصدق ومدح الصادقين ، ووعدهم بإصلاح
أعمالهم وغفران ذنوبهم « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في الصدق ويبين
أنه دليل إلى الجنة فيقول « إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي

إلى الجنة ، وإن الكذب يهـدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهـدى إلى النار . . وأخبر صلوات الله عليه أن الصدق نـجاة والكذب هـلكة فقال : « عليكم بالصدق وإن رأيتم فيه الهـلكة فإن فيه النـجاة ، وإياكم والكذب ، وإن رأيتم فيه النـجاة ، فإن فيه الهـلكة . .

ونفر الإسلام من الكذب وقبح المتصف به ولعنه : ففي القرآن الكريم « فـنـجـعـل لعنة الله على الكاذبين » ، بل عد الكذاب لا نصيب له في الإيمان ، وذلك قول الله تعالى « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » ، وفي الحديث : سئل الرسول صلى الله عليه وسلم « أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال : لا . .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على قوم يحبهم ويحبونه ، لصراحتهم فقال سبحانه « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . . وقصارى القول : أن الإسلام جعل الصدق والصراحة الدعامة الكبرى لتشديد صرح السعادة في العاجل والآجل .

شهادة الزور

إذا سألك إنسان عن حال رجل وأخلاقه وأمانته ودينه ، فأجبته بغير ما تعرف وتعلم ، كأن كان فاسقاً فقلت : إنه صالح ، أو كان صالحاً فقلت إنه من المفسدين — فقد غششت سائلك و « من غشنا فليس منا » . هـكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإذا سألك امرؤ يريد الزواج عن فتاة تعرفها وتعلم صفاتها وأخلاقها، وأهلها، فلم تصدق الحقيقة، ولم تذكر له الحق الذى تعرفه، فقلت له: إن شكلها جميل. وهى قبيحة، أو قلت له إنها دميمة وهى جميلة، أو أجبته أن أخلاقها وسيرها غير حميد والأمر غير ذلك — فقد أسأت، وكنت من الخائنين.

وإذا سألك عن تاجر ومعاملته للناس، فقلت له غير الحق، وعميت عليه أمره، فدحته وهو من المذمومين — فاعلم أنك بذلك أغضبت رب العالمين، وعاديت نبيك الكريم. ومحل ذلك كله إذا كان سائلك ممن له مصلحة تتعلق بمن يسألك عنهم، فيلزم ديانة وإنسانية أن تصدقه الخبر، وأن تبذل له النصيحة خالصة لوجه الله أما إذا كان السائل ممن يبحثون عن عورات الناس وسوآت عباد الله، للتشهير بهم والقدح فى أعراضهم، فليكن جوابك له على كل سؤال قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وقل له: «العاقل من اشتغل بعيوبه عن عيوب الناس». واعلم أخى — وفقك الله — أن كل ما قدمته لك من أسئلة وأجوبة داخل فى شهادة الزور، وشاهد الزور إنسان ولكنه فاقد الكرامة، رجل ولكنه عديم المروءة، مؤمن ولكنه من أهل النار مسلم ولكنه تبرأ منه الحبيب المختار.

أولا: شاهد الزور أساء إلى نفسه حيث عرضها للامتهان فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

ثانياً : أساء إلى القاضى بشهادته حيث أضله عن طريق الهدى
ولولا شهادته لكان القاضى من المهتمدين .

ثالثاً : أساء لمن شهد له ، حيث جرأه على المفاسد والمخازى
وأكل أموال الناس بالباطل .

رابعاً : أساء إلى من شهد عليه وأضاع حقوقه وخذله فى وقت
يجب عليه أن يقرر الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين .

خامساً : أساء إلى الهيئة الاجتماعية بنشره للفساد وإعانة الظالمين

سادساً : أساء إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، حيث خالف

أمره ، وهجر هديه ، ونقض عهده .

وإنى أقص على شاهد الزور حديثاً واحداً عن الرسول فى

شهادة الزور لعله يسمع ويتوب ، ويقطع عن محاربة علام الغيوب :

عن أبى بكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك

بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وشهادة

الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكرها حتى قلنا : ليته سكت ،

ويقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء

لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ويقول سبحانه فى

وصف الكملة من عباده « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا

بالغو مروا كراما » .

حكاية صوفى

يحكى أن أبا يزيد البسطامى الصوفى ، لما أراد الذهاب إلى بغداد لطلب العلم ، أعطته أمه أربعين ديناراً ميراثه فى أبيه ، وقالت له : ضع يدك فى يدي ، وعاهدنى على الصدق لا تكذب ، فعاهدها على ذلك وخرج مع قافلة يريد بغداد . وفى أثناء الطريق خرج اللصوص ونهبوا كل مافى القافلة ، ورأوا البسطامى رث الثياب فقالوا له : هل معك شيء ؟ قال : معى أربعون ديناراً ، فضحكوا منه وحسبوا أنه أبله . وتركوه ورجعوا بما غنموا إلى كهف به كبير اللصوص ، ينتظر ما يأتون به ، فلما رأهم قال : هل أخذتم كل مافى القافلة ؟ قالوا : نعم إلا رجلاً سألناه عما معه فقال : معى أربعون ديناراً ، فتركناه احتقاراً لشأنه ، ونظن أن به خبلاً فى عقله . فقال : علىَّ به . فلما حضر بين يديه قال : هل معك شيء ؟ قال : معى أربعون ديناراً . قال : أين هى ؟ فأخرجها وسلمها له . فقال كبير اللصوص : أبك جنون يارجل ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ قال له : إننى لما أردت الخروج من بلدى عاهدت أمى على الصدق لا أكذب ، ومحال أن أنقض عهد أمى . فقال كبير اللصوص : لا حول ولا قوة إلا بالله ! رجل يعاهد أمه على الصدق ولا ينقض عهد أمه ، ونحن نعاهد الله على طاعته وامتنال أمره وننقض عهده ! ! تبنا جميعاً إلى الله ! وأمر بردما أخذ من القافلة إلى أربابه . فانظر يارعاك الله كيف هدى الله بصدق البسطامى هؤلاء العصاة ! .

السَّاحَةِ

هى مَدَ المشروعات النافعة بالمال ، وبذل المعونة للمعوزين ،
ومساعدة الفقراء والمساكين . وإن أسعد أمة فى العالم هى التى تقوم
أغنياؤها بإنشاء دور العلاج للمرضى ، وبناء الملاجىء لإيواء اليتامى
وذوى العاهات ، وتشيد المعاهد العلمية ، وما إلى هذا مما يعود
على الأمة بالتقدم والفلاح ، والآلفة والإتحاد .

وقد أبدع الإسلام فى هذا الموضوع أى إبداع ، فمرة يدعو
إلى البذل بعبارة تسيل رقة وحناناً ، واعدأ برد أضعاف ما تنفق
فيقول كما فى القرآن الكريم : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً
حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، ، ومرة يحث عليه ويبين أن
ما أنفق مدخر عند الله ، وما كان عنده فهو خير مما تخزنون فيقول :
« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ،
ويقول « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل فى كل سنبله مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . »
وأى امرئ يسمع قول الله تعالى « ما عندكم ينفذ وما عند الله
باق ، ولا تهتز أوتار السباحة فى نفسه ، بل أى إنسان يسمع ذلك
التهديد الذى تخزله صم الجبال وتميد من هوله الأرض وتتشق له
السموات ، ويقبض يده عن الإنفاق فيما يعود على أمتة بالرفاهية
والسيادة ؟ اقرأ إن شئت قوله تعالى . « والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحسب
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا
ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكمنون .

إن الإسلام قد هز العواطف وحض على الإنفاق ، تارة
بالتغيب فيما عند الله ، وأخرى بضمان الخلف « وما أنفقتم من
شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين ، وأنا بالتنفير من رذيلة الشح
« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

بل ذهب الإسلام إلى أقصى حدود الحث على البذل ومدد
المعونة المعوزين ، فمدح الذين يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة . ونفر الرسول صلوات الله عليه من الشح وأخبر
أنه أهلك الأمم الماضية ، فقال « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم
القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم : حملهم على أن
سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

أليس الاسلام بفرضه اخراج جزء معلوم من الأموال (الزكاة)
يعطى للفقراء كل عام قد حل عقدة الاشتراكية التي شغلت بال العالم
أجمع ؟ ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر لك كلمة في :

الحرص والطمع

يدل الطمع والحرص على ضعف اليقين وعدم الثقة بالله
تعالى ، وعلى حب الجمع والادخار . ولا أدري هل الطمع والد

الحرص أو مولود له ! ومهما يكن من شيء فهما خصلتان مذمومتان ، ما تلبس بهما إنسان إلا سلب الهناء والراحة ، فيصبح من نفسه في عناء والناس منه في بلاء ، لا يرضى بالكثير ، ولا يصبر على القليل ، بل استعبده الطمع وأذله الحرص ؛ فهو الحقيق وإن ظنه الناس عظيماً ، والفقير وإن حسبه البعض غنياً ، والعبد وإن زعم الحرية .

من كان ذا مال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعاً وإن كان مقللاً فهو المكثر
الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبر
ويكاد أن يكون هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » .

والطمع غريزة في النفس لا تشبع ولو أعطيت الدنيا وما فيها وذات الكلمة مركبة من حروف « ط م ع » كلها مجوفة . وفي البخاري وغيره : « يهرم ابن آدم ويشبُّ معه اثنتان : الأمل ، وحب المال ، وفي حديث آخر « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بطن لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . والطمع أساسه الشك فيما قدره الله للإنسان من رزق . فالتمس به خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . ويعجبني قول بعض الحكماء : لو قيل للطمع من أبوك ؟ قال : الشك في المقدور . ولو قيل ما حرفتك ؟ قال : اكتساب الذل .

ولو قيل ما غايتك ؟ قال الحرمان ... فهو فساد للدين ، وضياع للدنيا
 يروى أنه لما دخل على بن أبي طالب كرم الله وجهه جامع
 البصرة ووجد القصاص يقصون ، أقامهم ، حتى جاء إلى الحسن
 البصرى فقال له : يا فتى إني سئلك عن أمر فإن أنت أحببتني عنه
 أبقيتك ، وإلا أقتك كما أقت أصحابك ، وكان قد رأى عليه سمتا
 وهديا . فقال الحسن : سل عما شئت . قال : ما ملاك الدين ؟ قال :
 الورع ، قال : فما فساد الدين ؟ قال : الطمع . قال : اجلس ، فمثلك
 من يتكلم على الناس . وليس من الطمع أن تسعى وتجد فيما يقوم
 بأودك ويحفظ عليك كرامتك وعرضك ، فهذا واجب الدين ،
 وطريق الحياة الشريفة ، إنما الشائن أن تذلل نفسك وتنظر إلى
 ما في يد غيرك ؛ فقليل مع الكرامة أفضل من الدنيا وما فيها مع
 المذلة والمهانة . وصدق القائل :

العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع
 فاقنع ولا تطمع فما شيء يشين سوى الطمع

ولو رجع المسلم إلى الدين وإلى ما جاء عن النبي صلى الله
 عليه وسلم لعلم أن الرزق مكتوب مع الأجل ، وأن الطمع لا يزيد
 المرء إلا عذابا وتعيباً ، وأنه لن يخرج من الدنيا حتى يستوفى
 ما كتبه الله له . ففي حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث في روعي
 أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

وتأمل معي — رزقت الرضا — هذا الحديث المروى في الصحيحين ، تعرف كيف كان رسولنا صلوات الله تعالى عليه يرغب في القناعة بعبارات تزيل غريزة الطمع ، وتقضى على شهوة الحرص والشره ؛ فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اشترى رجل من رجل عقاراً فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتِ الذهب ؛ وقال الذى له الأرض : إنما بعثك الأرض وما فيها . فتحاكما إلى رجل ، فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، قال أنكحها الغلام الجارية ، وأنفقاعلى أنفسهما منه « فتصرفا » .

فانظر — رحمك الله — إلى زهد الرجلين فى حطام الدنيا ، وتمنع كل منهما عن أخذ الذهب !

ولو حدث هذا فى زماننا لسالت الدماء أنهاراً ، فقد أصبحنا فى عصر يدعو الطمع الشخص فيه إلى سلب أموال الناس والجور عليهم . ففى سبيل الشره والحرص وجمع المال يرتكب المرء لمنكرات ويفعل الموبقات .

فطن بكل مصيبة فى ماله وإذا أصيب بدينه لم يشعر والطمع مرض كسائر الأمراض الخبيثة التى تفتك بالمجتمع الإنسانى ، فعنه يتولد بين الناس الحقد والبغضاء ، والحسد والعداوة

والجفاء وعلامة المتصف به البخل والحرص والشره والشح ، فهو
داهٍ مهلك ووباء وبلاء . ولصيانة النفس منه يجب الاقتصاد في
المعيشة ، وحسن الثقة بالله ، واعتقاد أن ما كان للعبد سوف يأتيه
وبذلك ترضى وتقنع . انظر إلى قول الأول :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وإذا كان الانسان ليس له من الدنيا إلا ما أكل فأبلى ، أو لبس
فأفنى ، أو تصدق فأمضى ، فلماذا الطمع والتطلع إلى ما في أيدي الناس
مع ما في التطلع من ضياع الشرف وذهاب المروءة وفقد الكرامة !
وما أحسن تلك الحكمة « استغن عن شئت تكن نظيره ،
واحتمل إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن
أميره ، . ولعمر الحق : إن القناعة كنز لا يفنى ، وهي رأس مال
الصالحين ، وأهل السعادة المتقين ، من رزقها فقد رزق الخير ،
ومن حرّمها حرم نعيم الدنيا والآخرة . وقد أحسن وأبدع الإمام
الشافعي في قوله :

أمت مطامعي فأرحمت نفسي	فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييتُ القنوع وكان ميتا	ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد	علته مهانةٌ وعلاه هُون

رزقنا الله القناعة والرضا ، إنه على ما يشاء قدير .

الحياء

الحياء خلق الكرام ، وسمة أهل المروءة والشرف ، وعنوان الفضل والنبيل ، إذ هو ترك ما يشين خوف المذمة والفضيحة .
ولقد صدق أهل اللغة في قولهم : الاستحياء من الحياة ، واستحياء الرجل من قوة الحياة فيه ، لشدة علمه بمواقع العيب والذم .
والحياء باعثة إحساس رقيق ، وشعور دقيق ، يبدو في العين مظهره ، وعلى الوجه أثره ، من حرمة حرم الخير كله ، ومن تحلى به ظفر بالعزة والكرامة ونال الخير أجمع ؛ فعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحياء خير كله» ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء — يعيبه عليه — فقال صلى الله عليه وسلم : «دعه فإن الحياء من الإيمان» .
والحياء زينة النفوس ، يصددها عن فعل ما يشينها ، ويحملها على التحلى بجميل الخصال ؛ فهو أبدأ لا يأتى إلا بخير . وكفى به خيراً أن يكون على الخير دليلاً . وكفى بضده البذاء شراً أن يكون إلى الشر سبيلاً . ومن حكم المتقدمين «من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه» .
ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء
والحياء شعبة من شعب الإيمان ، وفضيلة من فضائل الاسلام
وخلق من أخلاق نبينا صلوات الله عليه . فعن أبى سعيد الخدرى

رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها . وكان صلى الله عليه وسلم إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . وكان لطيف البشرية ، رقيق الظاهر ، لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس . . ومن خلع برقع الحياء عن وجهه فقد خلع ثوب الإيمان عن نفسه . ففي الحديث عن الرسول الأكرم « الحياء شعبة من الإيمان ، ولا إيمان لمن لا حياء له . . وفي حديث آخر « الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر ، وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة . والبذاء من الجفاء والجفاء في النار . »

والحياء أقسام ثلاثة : (١) حياء المرء من الله (٢) حياؤه من الناس (٣) حياؤه من نفسه .

فالحياء من الله تعالى : ألا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، وإنما يكون هذا في المرء الذي نور الإيمان في قلبه ، فيرى أن الله مطلع على سره وجهره ، لا تخفى عليه خافية من أمره « يعلم السر وأخفى » . فإذا استشعر الإنسان ذلك ، وملك خوف الله عليه حواسه ، أقدم على فعل ما أمره به مولاه ، وابتعد عما نهاه عنه ، فلا يقصر في طاعة ، ولا يرتكب معصية ، فان الحي يخاف فضيحة الدنيا وفضيحة الآخرة ، ولمن خاف مقام ربه جنتان . فترى المتخلق بهذا الخلق سره كعلانيته ، ما يأتيه سرأ يفعل جهرأ ، ولا يأتي إلا المحاسن

وليس هو من أولئك الذين يتظاهرون بالاستقامة والصلاح ، فإذا ما خلّوا بأنفسهم انغمسوا في المعاصي والآثام ، ظنا منهم ألا رقيب عليهم والله من ورائهم محيط .

إن من يركب الفواحش سرّاً حين يخلو بسرّه غيرُ خال كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربّه ذو المحال فدلّيل حياتك من الله أن توجه نفسك إلى الخير المحض ، فتقوم

بوظائف العبودية من صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، وتصرف أعضائك فيما خلقت لأجله ، فلا تستعمل العين في النظر إلى حرم الله ، ولا اللسان في القذف والسباب والغيبة والنميمة ، ولا اليد في البطش والأيذاء ، ولا تدخل بطنك حراما ، ولا تتبع عورات إخوانك ، ولا تضمر لهم سوءاً ولا شراً ، يرشدك إلى ذلك قول

النبي صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله . قالوا : إنا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، وأثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء . »

وهذا النوع أعلى درجات الحياء ، يدعو إليه كمال الدين وقوة اليقين ، وجدير بنفس تحلت بهذا أن يقال لها : « يأتيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . »

والحياء من الناس : يكون بترك فعل ما يشين ، وكف الأذى عنهم ، وستر مساوئهم ، والعفو عن هفواتهم ، وعدم الظهور بمظهر الفجور أمامهم . ففي الحديث « من تقوى الله اتقاهُ الناس » .

ومن الناس من يتلذذ بذكر فسوقه وعصيانه ، فيذيع لجلسائه ما ستره الله عليه ، فيعرض نفسه للحرمان من عفو الله ورحمته . وفي هذا يقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم « كل أمتي معافي إلا المجاهرين ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ، ويصبح فيكشف ستر الله عنه » .

وهذا حال الكثير من شباب اليوم : غاض ماء الحياء من وجوههم ، فلا هم لهم إلا معاكسة النساء في الطرقات ، والتظاهر بفعل المنكرات ، والتباهي بما ارتكبوا من موبقات . وما دروا أن حياة الوجه بحيائه ، كما أن حياة الغرس بمائه . وقد صدق الأول : إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه . ومن سلب الحياء استوت عنده الفضيلة والرذيلة . ومن وصل إلى هذه المنزلة الدون ، لا يبالي ما يأتي من الشرور والقبائح إذ قد تجرد من كل فضيلة وشرف . وفي مثل هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

ولقد أبدع وأجاد في هذا المعنى من قال :

إذا لم تصن عر ضاً ولم تخش خالفاً وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

وأما حياء المرء من نفسه : فهو أن لا يعمل عملاً في السر يستحي منه في العلانية . فإن النفس متى أشربت الفضيلة ، أصبحت الفضيلة عادة لها ، تقودها إلى المحاسن ، وتنأى بها عن الدنايا . ولبعض الصالحين : من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس له عند نفسه قدر . وإنما يستوى عمل السر والاعلان لدى النفوس الكبيرة التي جعلت رقيباً عليها ضميرها الحى وشرفها التليد . وتلك نفوس أصحاب المروءات الذين أثار الله قلوبهم بنور الايمان ، وحلّاهم بالتقوى ومكارم الأخلاق .

وها أنت ترى أن الحياء من الله يشمل الحياء من النفس والناس فمن استحي من الله استحي من النفس والناس ، ومن لا فلا . وليس من الحياء أن ترى حرّامات الله تنتهك وتسكت ، بل السكوت في هذه يعد جبناً وضعفاً في الدين وعدم اعتداد بشرف النفس . ففي الحديث « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان ، وبالأجمال نخلق الحياء يكسب المرء الشاء في الحياة . وجميل الذكرى بعد الموت ، وهو سمة أهل الدين ، وشعار الصالحين ، وخلق من أخلاق هذا الدين .

المروءة

المروءة كلمة لفظها كمعناها حلو جميل ، إن قرعت السمع فعظمة وجلال ، وإن نفذت إلى القلب فنبل وسمو وشعور بالكرامة والكمال . ولست أعدو الحق إن قلت إن المروءة هي جماع الفضائل

وراس المكارم وعنوان الشرف ، بها يسمو المرء ويرتفع ذكره ،
وبفقدتها يفقد كل مكرمة وفضل . فهي ميزان الرجال وأصل الجمال .
وحدُّ المروءة : تجمل النفس بما يزينها ، وتحصينها بما يشينها ،
بحيث تكون للحامد أهلاً ، وعن المذام بمنأى . ولا يكون ذلك
إلا لمن راض نفسه على التخلق بالخلق الحسن من الصفات ، والتجمل
بجميل العادات ، حتى يصبح التطبع جبلة ، والتعود غريزة . وليس
يستطيع ذلك إلا من جاهد نفسه ونازع هواه ، رغبة في حسن
الأحدوثة والذكرى الجميلة ، وحذراً من شين يزرى بسمو النفس
وينقص من كمالها ، ولذا قيل من شرائط المروءة أن يتعفف عن
الحرام ، ويتصافى عن الآثام ، وينصف في الحكم ، ويكف عن
الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يستطيل على من لا يسترق ،
ولا يعين قوياً على ضعيف ، ولا يؤثر دنيئاً على شريف ، ولا يسر
ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم .
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل
ولا تكاد تجد ذا مروءة إلا إذا كانت نفسه شريفة وهمة
عالية ، إذ شرف النفس يدعو إلى إعزازها وإكرامها عن اقتراف
ما يحط من شأنها وينقص من قدرها . فشريف النفس لا يقبل
الهوان ، ولا يتحمل المذلة من أى إنسان .

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هو أنابها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا

ولإياك والسكنى بمنزل ذلة يعد مسيئاً فيه من كان محسناً
وعلو الهمة يحمل المتحلى به على الترفع عن الدنيا من ظلم
الناس والكذب عليهم ، وخلف مواعيدهم ، وكيف يكون على
الهمة من يجور على غيره ، ويفترى الكذب في حديثه ، ولا يني
بما يعد ! إن هذا إلا وصف اللئام وحلية الأدياء من أشباه الرجال
ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب معالي الأمور
وأشرافها ، ويكره دنسها وسفاسفها » . ويقول : « من عامل الناس
فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو بمن كملت
مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته » . ولأصحاب المروءات
علامات تدل عليهم ، وأمارات ترشد إليهم ، كما قال الأول :

ومعشر صيد ذوى تجلة ترى عليهم للندى أدلة
فهم لأرحامهم واصلون ، ولأموالهم باذلون ، وبتقوى الله
عاملون ، يتعففون عن المحارم ، كما يترفعون عن المآثم ، لا يفعلون
الفحشاء ، ولا يخوضون فيما لا يعنينهم ، شغلهم كرم نفوسهم عن
الناس إلا فيما يعود على العباد بالخير والنفع .

روى أن معاوية ابن أبي سفيان سأل عمر أ عن المروءة ، فقال :
تقوى الله تعالى ، وصلة الرحم . وسأل المغيرة فقال : هي العفة
عما حرم الله تعالى ، والحرفة فيما أحل الله تعالى . وسأل يزيد فقال :
هي الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند المقدرة .
فقال معاوية : أنت منى حقاً . وقال أحد الحكماء لابنه : الكامل
المروءة من حصن دينه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه .

ولعمر الحق ما المروءة إلا في التمسك بأهداب الفضيلة ، والعمل بأوامر الدين . فالدين يأمر باحسان ويرغب فيه ، ويحث على إغاثة الملهوف ، وإغاثة المحتاج . كما يأمر بصلة الأرحام ؛ وضبط الفرج والبطن عن الحرام . فالمرءة هي الدين ، والدين هو المروءة .

وليست المروءة أن تعين إنساناً بمالك أو جاهك فحسب ، ولكن أن تكون تقوى الله أساس عملك ، والعمل على مرضاته أول همك ؛ فلا تعمل في السر ما تخاف مذمته في العلانية ؛ فإن ذلك برهان خبث النفس ، ودليل لئوم الطبع . وعلى ما رسمنا من حد المروءة وشرائطها صح لذلك النذرى رأى ما عليه الناس من النقص وفقد المروءة أن يقول :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تنتحب الفتاة
فقلت كيف لا أبكى وأهلى جميعاً دون خلق الله ماتوا
واعلم — هديت إلى الرشاد — أن صيانة النفس عن الابتذال

وذل السؤال بالجد والكفاح في الحياة لتحصيل ما يصلحك ويقوم بأود من تعول ، هو لب المروءة وسنامها ، ولن يضير ذوى المروءة أن يعملوا لكسب العيش وإصلاح الحال من أى طريق ، ما دام طريقاً مشروعاً ؛ بل هذا هو الذى حث عليه الدين ؛ ورغب فيه سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ؛ حفظاً للكرامة ؛ وصيانة للنفس من الهوان الذى يلحقها بذل السؤال ؛ وذهاب ماء الحياء بالتطلع إلى ما فى أيدي الناس . ولذا ترى أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم حين هاجروا من مكة إلى المدينة ؛ وعرض عليهم
الأنصار أن يقاسموهم أموالهم وضياعهم ؛ أبت عزة نفوسهم أن
يقبلوا ذلك وقالوا لآخوانهم الأنصار : دلونا على السوق نبيع
ونبتاع ، ونأكل من عمل أيدينا . تلك وربى هي العزة « ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين » .

فبالعمل يتمكن المرء من إصلاح شأنه ، وبرإخوانه ، والعطف
على جيرانه ، ونيل عظيم الثواب بصلة أرحامه .

ومن تمام المروءة إيثار الغير على النفس ؛ وقد أثنى الله سبحانه
وتعالى على الأنصار في كتابه الكريم ، ومدحهم بما حلوا به
أنفسهم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

ومما يروى في الإيثار على النفس ما حدث به أبو عبد الله محمد
ابن عمر الواقدي قال :

كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فالتقي
ضائقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتى : أما نحن فنصبر
على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم ،
لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم
وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت في شيء فصرفته
في كسوتهم ! قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على
بما حضر ، فوجه إلى كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ، فما
استقر قراري حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت

إلى صاحبى الهاشمى ، فوجهت إليه الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتى مستحيا من امرأتى . فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ولم تعنفنى عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته وقال لى : اصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك . فعرفته الخبر على وجهه ، فقال لى : إنك وجهت إلى وما أملك على وجه الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلى كيسى بخاتمى . قال الواقدى : فتواسينا ألف الدرهم ! .

وَأَيْنَ من يفعل ذلك أينا ، أولئك قوم شروا الثناء فى الدنيا والنعم فى الآخرة بعرض زائل وحطام بائد ، فرجوا به عن إخوانهم الكربات ، فنالوا الحسنيين ، وفازوا بالسعادتين .

يبقى الثناء وتذهب الأموال ولكل دهر دولة ورجال
مانال محمدا الرجال وشكرهم إلا الجواد بماله المفضل
لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعال
ومروءة الرجل ذخيرة لأولاده من بعده ، ينالون بها جميل
العطف ، ويدفع بها عنهم كثيرا من حوادث الدهر ونوائبه .

حكى الإمام على كرم الله وجهه قال : لما أتينا بسبائيا طيبا كان فى الناس جارية حسناء تقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى فلا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، كان أبى

يفك العاني، ويحمي الذمار، ويسقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج
عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يرد طالب حاجة
قط، أنا بنت حاتم طيء. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: يا جارية
هذه صفة المؤمن، خلوا عنها فإن أبائنا كان يحب مكارم الأخلاق.
ولو ذهبت أحصى لك أخبار أهل المروءة من سلفنا الصالح
وآبائنا الأماجد، ومواساتهم لمن يعرفون ومن لا يعرفون، لما
اتسع لى ولك المجال، ولكن ينبغي أن تعرف:

أن المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخناس ونهته عن سبل العلا فأطاعها
فإذا أصاب من المكارم خلة يبنى الكريم بها المكارم باعها

الآداب

قد أسلفنا لك القول في أصول الأخلاق وبعض فروعها، وبقي
ما يرتبط بالأخلاق قسم الآداب.

والآداب نوعان: شخصية، مظهر آثارها ذات الشخص،
وآداب عامة تحدد علاقة الإنسان بغيره من بني جنسه.

والآداب الشخصية منها ما يرجع إلى حفظ صحة البدن وتنميته
وتقويته، ومنها ما يرجع إلى حفظ القوى العاقلة وتغذيتها بما
يزيدها من العلوم والمعارف. وإني أذكر لك ما به حفظ جسمك
وتقوية بدنك، مع العلم أن صحة الأبدان بها قوام الحياة الصحيحة،
وعليها يقوم بناء عظمة الأمم. وقد قرر الأطباء أن الوقاية خير

من العلاج. . وأحسب أن هذه القاعدة التي ذكرها الأطباء مأخوذة من الإسلام ، وأن الدين الإسلامي وضع نظاما لحفظ الصحة لو سار عليه العالم لكفاه غائلة الأمراض الفتاكة ، فشرع نظافة الجسم والملابس والمكان ، ونهى عن البول والبراز في الماء ، إذ يتسبب عن ذلك وجود (ميكروبات) (البهارسيا والانكلستوما) فتحدث العدوى وينتشر المرض ، وندب المسلمين إلى تقليم أظافرهم وقص بعض شعورهم كالشارب حتى لا يتلوث بشيء من الطعام والشراب ، وحث على الاغتسال ونظافة الجسم بمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» . وسن خير الأنظمة للوقاية من التخمّة ، ففي الأثر «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع» ، وفي الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمت» . فيمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلا فثلك لطعامه وثلك لشرابه ، وثلك لنفسه .

ومن الآداب الشخصية التي تعود على الجسم بالنماء والحفظ اجتناب كل ما يضر بالبدن والعقل . فالخمر والحشيش والأفيون والمورفين وما شاكل ذلك تضر بالأجسام والعقول والأموال ضرراً بليغاً فقد قرر الأطباء أن الخمر تؤثر على الكبد والطحال والأمعاء ، وبسببها تضر الشرايين التي يمر بها دم الحياة ، وفوق ذلك هي خالية من كل مادة غذائية ، مع تأثيرها الخطر على العقل والمال لذلك حرّمها الإسلام وشدد في تحريمها ، وأنزل فيها رب العالمين

إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . . وفي الحديث « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الرجل قميصه من رأسه ، ومن تعاليم الاسلام « لا يجتمع الخمر والإيمان في قلب عبد » . وعدها أم الخبائث وأم الكبائر ، ولعن شاربها وبائعها وحاملها والمحمولة اليه ، وأوجب في شربها الحد ثمانين جلدة بمشهد من المسلمين .

ولو أردت إحصاء ما في الخمر من مساوىء لأعوزنى الأمر إلى كتاب مستقل . ويكفى أن تعلم أن المدمنين عليها فقدوا كرامتهم ، وأضاعوا شخصيتهم ، وباءوا بالخيبة في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب أليم .

ولا يقل ضرر الحشيش والأفيون والمورفين عن ضرر الخمر ، بل يزيد على ذلك . وإن شئت سل موظفي مستشفى المجازيب تسمع منهم ما يدهشك ، إذ قد ثبت أن ثلثى سكان المستشفى من مدمني الخمر والحشيش والأفيون والمورفين وبقية المواد المخدرة . وكثيراً ما نرى متعاطي هذه الأشياء وقد ارتسم الخمول على وجهه ، ولازمه الكسل ، وأصبح عضواً غير صالح في الهيئة الاجتماعية يجب بتره قبل انتشار عدواه .

ومما يزرى بالنفس ويحط من قدرها ، ويقضى على الشرف والكرامة والمروءة . لعب القمار والعكوف على الميسر . فكم من بيوت هوت إلى الحضيض بسبب شقوة أربابها وانغماسهم مع رفقاء

السوء في هذه الهوة السحيقة! بل كم من بيوت بسبب الميسر بدا عليها الشقاء والذل ، وقد كانت بهجة للناظرين ! . لذلك حرم الاسلام القمار بسائر أنواعه ، ونظمه في سلك أم الكبائر ، وعده من عمل الشيطان الرجيم وإنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . . هذه بعض الآداب الشخصية التي ترجع إلى حفظ الجسم وتقويته . وأما ما يعود إلى تنمية العقل وحفظه فليس ذلك إلا العلوم والمعارف ، فبالعلم تدرك العقول كمالها وجمالها .

ولا تتعرض لفضل العلم ، فزاياه غنية عن البيان . وتقدم البحث واستكشاف عجائب الكون خير برهان على فضل العلم وجلاله . وقد رغب الإسلام في طلب العلم ، وأمر بتحصيله ، ومدح العلماء . اقرأ إن شئت قوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » . وإن ديناً يحض على تحصيل العلم بمثل قول النبي صلوات الله عليه وسلامه « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث — لهودين أحق بالأكبار والإجلال . ومن الآداب الشخصية تربية الإرادة على حب الخير والفضيلة والتواضع والعفة ، وحسن الخلق والأمانة ، وإعزاز النفس بالبعد

عن جريمة الزنا والغيبة والنميمة والسعاية، إذ هذه خصال تنافى شرف الآداب وعلو الهمم: هذا نموذج من الآداب الشخصية. وإليك مثل من:

الآداب العامة

الآداب العامة: عبارة عن علاقة المرء بغيره. فإذا حسنت هذه العلاقة، وحل الوفاق محل الخلاف، والمؤاخاة موضع الجفاء بين أفراد الأمة، صالح حالها، وسارت في طريق التقدم حتى تبلغ كمالها المنشود. وعلى العكس إذا كان أفرادها متناكرين متشاحنين لا تجمعهم رابطة ولا يحسبون لبعض حساباً، فإن ذلك نذير تشتت شملها، ودليل تمزقها وصيرورتها فريسة لأنياب المستعمرين.

والآداب العامة تشمل علاقة الزوجين ببعضهما، وعلاقة الآباء بالآبناء، والآبناء بالآباء، والأقارب بعضهم ببعض.

واجبات الزوجين

الزواج أمر طبيعي يدعو إليه نظام الوجود، وتقضيهِ الحياة العمرانية، وتستحسنه الفطر السليمة. فإذا بنى على أساس من المودة والثقة أثمر ثمرأ شهيأ، وأنتج الهناء والطمأنينة والسعادة المنزلية، فإن أحسن البيوت ما عمر بحسن العشرة، وشرها ما ساءت فيه العلاقات وتقطعت بين الزوجين الصلات. لذلك نذكر لك في هذا الفصل واجبات الزوجين، وهى:

١ — واجبات مشتركة بين الزوج والزوجة.

٢ — واجبات الزوج نحو زوجته .

٣ — واجبات الزوجة نحو زوجها .

فالواجبات المشتركة بين الزوجين ، منها (الأمانة) وهى أساس السعادة المنزلية ، بل هى روح الزواج وعماده ، فأى خيانة تبدو من أحد الزوجين تكدر صفو حياتهما وتنغص عيشهما . فالزنا جريمة اجتماعية ، ومفسدة عظيمة ، تفسد حال النسل ، وتلبس الزناة ثوب الخزي فى الدنيا والآخرة . لذلك جعل الدين الاسلامى عقاب الزانى المحصن (المتزوج) رجماً بالحجارة حتى يموت ، رجلاً كان أو امرأة . وكما أن الأمانة مطلوبة من كلا الزوجين فى حفظ العرض كذلك هى مطلوبة منهما فى كل الشئون العائلية من مال وأسرار . ومن الواجبات المشتركة بين الزوجين التعاون فى شئون مملكتيهما الصغيرة . فإنه وإن كان الزوج هو المطلوب منه الانفاق على الزوجة والقيام بحاجيات البيت ، فإن المرأة مطلوب منها أن تحسن التدبير ، وتتوخى وجوه الانفاق ، وتمد زوجها بإرشاداتها ونصائحها .

ومن الواجبات المشتركة العناية بتربية أبنائهما على الفضيلة وحب الخير ، وعدم إسماعهما ألفاظ السباب والنقص . وإنه لمن المؤلم حقاً ما يحدث بين الزوجين من شجار وخلاف أمام أولادهما ، لاسيما إذا استعملوا الألفاظ الساقطة ، فإنهما يكونان شر قدوة لأولادهما ، فالتعاون يقتضى توقيف كل منهما للآخر ، وإظهار النصيح والشفقة وتبادل الثقة .

وحقوق الزوجة على زوجها تنحصر فى حماية عرضها ووقايتها

من كل ما يחדش الشرف، فلا يمكنها من التبرج والخلاعة والاختلاط بالرجال ولو أقاربها غير المحارم ، ففي ذلك فساد كبير وبلاء عظيم . فالدين ينادى بأنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما . والمرأة تشتبهى كما يشتهى الرجل ، ينظر فيتأثر فيميل ، فكذلك المرأة . ويدخل في حماية عرض المرأة العمل على عدم اختلاطها بالنساء ذوى السيرة المعوجة والسمعة السيئة . وكما يجب عليه ذلك يجب عليه ألا يتركها في البيت تندب حظها ويقضى ليله في شهواته ، فإن ذلك يفسد قلب المرأة ، ويدخل سوء الظن في نفسها ، فيتكدر الصفاء ويزول الهناء ، وتقابل المثل بالمثل ، وفي ذلك بلاء عظيم . وإن هؤلاء الذين يقضون سهراتهم الآثمة مع إخوان السوء يخنون على عفة نساءهم أعظم جناية ، ويضربون أسوأ الأمثال لأولادهم وبناتهم . وصدق الأول :

إذا كان رب البيت بالدفع ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص
ومن واجب الزوج القيام بكل حاجيات البيت التي يقتضيها
العرف، كل حسب وسعه وطاقته . فالنفقة والكسوة والمسكن من
واجبات الزوج لزوجته ، كما عليه أن يعلمها لو كانت جاهلة ما يصلح
به دينها ودينها . فواجب عليه أن يعلمها الصلاة وبعض ما تتفق به
في دينها . ويرشدها إلى فعل الخير وحب الفضيلة ، في وداعة ولطف
ففي الحديث عن سيد البشر : « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن
من ضلع أعوج ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه

كسرتة ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً . ومن الجنائيات الأدبية والدينية أن يتزوج الرجل بأكثر من واحدة ولا يعدل بين زوجاته . فمن ترك العدل في ذلك جاء يوم القيامة وشقه مائل .
وواجبات الزوجة التي عليها لمزوجها تكون بطاعته فيما يأمر ، وبذل النصيح له ، وحفظ عرضه غائباً وحاضراً ، والعمل على سروره وانشراح صدره ، وعدم التبذير في ماله ، وإظهار البشاشة لوالديه وأهله ، وعدم الخروج من البيت إلا بإذنه ، فإن حقه عليها عظيم .
ففي الحديث : «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها» من عظم حقه عليها . وقديين الدين ما لكل من الزوجين على الآخر من الحقوق والواجبات في جملة جميلة قصيرة : «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم» .

صلة الأرحام

تحت هذا العنوان نذكر نبذة من حقوق الأولاد على آبائهم ، والآباء على أبنائهم ، وحقوق الأقارب بعضهم على بعض .
فواجب الولد على أبيه تربية جسمه وعقله وخلقه . وتربية الجسم وتنميته إنما تكون باتباع القواعد الصحية في مأكله وملبسه ومسكنه بقدر ما تسمح به حالة الوالد المادية . وتربية عقله تكون بالتهذيب والتعليم والتشقيف . وتربية خلقه تكون بالقودة الحسنة والنصائح الرشيدة . والولد كما تعلم ينشأ على فطرة سليمة قابلة للتشكيل والتحويل ومن القواعد المقررة « من شب على شيء شاب عليه » . فمن اعتنى

بترية أولاده صغاراً سُر بهم كباراً ، ومن أهمل شأنهم كان سبباً
 في خبث نفوسهم وفسادهم ، وعليه في ذلك من المسؤولية الاجتماعية
 والدينية حمل ثقيل . ففي الحديث «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم» .
 وإنما يكون التعليم ومعاملة الأولاد بالرفق واللين . ففي البخارى عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ،
 ولا ينزع من شئ إلا شاناه» ، فإن أنت هذبت أولادك وثقفت
 عقولهم وعلمتهم ما يصلح دينهم ودنياهم ، فقد أديت واجب الدين ،
 وواجب الوطن ، فإن أحسنوا بعد ذلك فإلى أنفسهم ، وإن أساءوا فعليها :
 « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .
 ومن حكم الإسلام في تربية الأولاد « لاعب ولدك سبعا ،
 وهذبه سبعا ، وصاحبه سبعا » وبعد ذلك اترك حبله على غاربه .
 ومن حقوق الأبناء على آبائهم النسوية بينهم ، فلا يفضل ولداً
 على بنت ، ولا يميز واحداً على آخر . ففي ذلك خلق للشاكل العائلية ،
 وإيقاد نار العدواة بين الأخوة والأخوات . وتنشئة البنت والولد
 على الفضيلة وحب الخير والتمسك بأوامر الدين من أول واجبات
 الأبوين ، وهما مسئولان عن ذلك ، لإسعاد الهئية الاجتماعية . وفي
 الحديث «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول
 عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة
 راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال
 سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

حقوق الآباء على الأبناء

الآباء هم السبب في وجود الأبناء ، تحملوا في تربيتهم المشاق والمصاعب ، وتعبوا في الحياة لإسعادهم . فواجب الأبناء توقيهم واحترامهم ، وطاعة أوامرهم في غير ما يغضب الله وتوفير أسباب الهناء والسعادة لهم وبذل أموالهم لإسعادهم .

وإن المرء مهما عمل نحو والديه ، لن يستطيع مكافأتهما على جميل إحسانهما إليه . فكم سهرت الأم في تربية أولادها ، وكم شقى الأب في جلب الهناء لهم . لذلك أوجب الدين والعرف إكرامهما وبرهما والإحسان إليهما ولو كانا على غير دينك .

فقد ورد أنه لما أسلم سعد بن أبي وقاص وعلمت أمه حمنة بنت أبي سفيان بإسلامه ، قالت له : يا سعد بلغني أنك قد صبات فوالله لا يظلني سقف من الحر والبرد ، وإن الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد ! . وبقيت كذلك ثلاثة أيام . فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه أمر أمه ، فنزل في ذلك قول الله تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، إلى مرجعكم فأنتنكم بما كنتم تعملون » . وصاه سبحانه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ، مؤمنين كانا أو كافرين . أما إذا دعواه للاشراك بالله عز وجل ، فمعصيتهما واجبة ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

هذا وقد جعل الدين بر الوالدين والسعى في سعادتهما أفضل

من الجهاد في سبيل الله ، كما جعل رضا الله في رضاها ، وسخطه في سخطها ، وقرن عقوق الوالدين بالشرك بالله .
 ففي الحديث « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟؟ قالها ثلاثاً — قالوا :
 بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، الحديث .
 وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 من أحق الناس بحسن صحابتي (صحبتي) ؟ قال « أمك » قال ثم من ؟
 قال « أمك » قال ثم من ؟ قال « أمك » قال « أمك » قال « أمك » وهذا
 الحديث يبين أن حق الأم أكد . والجنة تحت أقدام الأمهات .
 وأقبل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك
 على الهجرة والجهاد ، وأبتغي الأجر من الله تعالى . فقال « هل من
 والديك أحد حي ؟ » قال نعم ، بل كلاهما . قال « فتبتغي الأجر من
 الله تعالى ؟ » قال نعم ، قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتتهما .
 رواه مسلم .

بل تأمل قوله عليه السلام « رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك
 أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة » .
 والحديث صريح في أن معاملة الوالدين بالحسنى والعطف والشفقة ،
 وبالأخص في حال شيخوختهم ، سبب في دخول الجنة .
 وفي الحديث عن أبي أسيد أن رجلاً قال يا رسول الله هل بقي
 من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟ قال : « نعم الصلاة عليهما »
 — الدعاء لهما ، الاستغفار لهما — وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة

الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقيهما . .
ولا أجدا ما أختم لك به الكلام في بر الوالدين أحسن من قول الله
تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما
يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ،
وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيرا . .

حقوق الاقارب

قريبك قطعة منك ، إن أحسنت إليه أحسنت إلى نفسك ،
وإن أسأت إليه فإنما تمزق أعضائك ، فبالقريب تكون النصرة
والمعاونة ، والاحسان إليه والقيام بحقه والإغضاء عن هفواته تحفظ
كيان العائلات ، وتسعد الجماعات ، والمشاهدة أكبر برهان .
لذلك ترى الإسلام أمر بصلة الأرحام ، ونهى عن التقاطع ،
وبين أنه سبب الفساد في الدنيا والوبال في الآخرة . اقرأ قول النبي
صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم
قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال نعم ،
أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى .
قال : فذلك لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا
إن شئتم « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا
أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . .

وصلة الأقارب إنما تكون بإظهار البشاشة لهم وملاطفتهم وزيارتهم ومعاونتهم ببذل شيء مما أعطاك الله ، بذلك يبارك الله في حياتك ويزيد في رزقك . فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه » . وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي ، فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (الرماذ الحار) ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » .

فإن أساء إليك الأقارب فلا تقاطعهم ، بل قابل القطع بالوصل والجفاء بالمودة ، ففي الحديث : « ليس الواصل بالمكافئ » ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها . وكان من عناية الإسلام بصلة الأرحام عدم الاعتداد بالإحسان إلى الأجانب مادام للشخص قرابة محاييج .

وفي الحديث : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة » .

وقريب من حقوق الأرحام حق الجوار . فالمرء مطلوب منه الإحسان إلى جاره ، ومقابلة هفواته بالصفح ، وإعانتة إن كان من ذوى الفاقة . وقد عد الدين إيذاء الجار من علامات خلو المؤذى .

من الإيمان . فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « والله لا يؤمن ، والله لا يأمن ، والله لا يؤمن ! قيل من يارسوله
 الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه ، البوائق الشرور
 والأضرار . وفي حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
 فلا يؤذ جاره » .

وفي حديث أيضاً « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
 أنه سيورثه » .

والكلام في حقوق الجار يحتاج إلى سفر منفرد ، فلا جعل
 ختام البحث فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « خير الأصحاب
 عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى
 خيرهم لجاره » .

إزالة الهموم والاحزان

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما قال عبد قط إذا أصابه
 هم أو حزن : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي
 بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك : أسألك بكل اسم هو
 لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك
 أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ،
 ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله
 همه وغمه ، وأبدله مكان حزنه فرحاً » .

وإنما يكون ذلك مع إخلاص النية ، وحسن الطوية ، والتوجه إلى رب البرية ، بالعمل الصالح ، بالقلب والجوارح . وعن ابن مسعود قال : تلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » ، فقلت : يا رسول الله كيف يشرح الله صدره ؟ قال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقلت . ما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال . الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت .

الأصدقاء والأخوان

الإنسان مدني بطبعه ، يميل إلى الاختلاط والعشرة ، وحاجة الحياة تقتضي التعاون والتعارف والتآلف . واختيار الإنسان لمن يعاشرهم ويخلطهم بنفسه من الأصدقاء والإخوان أمر يحتمه الدين ويدعو إليه العقل السليم . وأحسب أنك لا تجد ديناً حض على الأخوة وتقوية رابطتها أعظم من دين الإسلام . فترى القرآن يأمر بالاتحاد وينهى عن التفرق داعية الخذلان ودليل الفشل ، فيقول : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويقول . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

وتراه يذكر أن الإيمان يدعو إلى الإخاء ، وشأن الأخوة الوفاق ، فيقول : إنما المؤمنون إخوة ، وترى الرسول صلوات الله عليه يقول : « المؤمن لله من كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

بل سل التاريخ يحدثك عن مبلغ الأخوة بين المهاجرين والأنصار حتى كان الواحد من الأنصار يعرض أمواله على أخيه المهاجرى يأخذ منها ما أحب . وتأمل هذه الشريعة السمحة التي تنهى أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيام . كما تنهى عن التجسس وتتبع العورات ، ليظل الإخاء متيناً ، والمودة محفوظة مصونة . وأرى من الواجب على أن أذكر لك كلمة نافعة إن شاء الله ، موضوعها .

الأخوان

الإنسان أشد المخلوقات محاكاة وتقليداً ، والمحاكاة كما تكون في الخير تحدث في الشر ، بل كثيراً ما يكون أثرها في الشر أسرع لأن النفوس إليه أميل ، ولقد بلغ من خطر محاكاة الشخص لمعاشريه وامتزاج روحه بأرواحهم وشدة تأثيره بهم بحيث فينت شخصيته في أشخاصهم ، أن المرء إذا أراد أن يتعرف أخلاق شخص أو معاملاته أو خصلة من خصاله الجميلة أو القبيحة فما عليه إلا أن يختبر صديق ذلك الشخص فيما أراد . وبذلك يمكنه أن يبلغ ما يريد بدون غناء . وقد صدق القائل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وإذا كان الأمر على ما وصفت لك من خطر الأخوة وأثرها

النافع والضار ، فواجب الحازم الذى يبغي السلامة فى دينه ودنياه
أن يبحث عن يريد أخوتهم ويسبر أحوالهم ويتعرف أخبارهم ،
فلا يعاشر إلا من صفت نفسه ، وطهرت روحه ، وحسن خلقه ،
وكل دينه « واصر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ، ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا .
أما ذلك الذى ركب رأسه وانغمس فى الشهوات والمنكرات ،
فإياك إياك أن تقترب منه ، فإنه مكروب يعدى كما يعدى السليم
الاجرب . بل هذا هو الحداد الذى يحرق ثيابك أو يؤذيك ريجه .
وفى الحديث الذى أتله عليه عبرة لمن أراد الاعتاظ :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ
الكير ؛ فحامل المسك إما أن يحذيك » يعطيك ، وإما أن تبتاع منه
« تشتري » ، وإما أن تجد ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك
وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة .

وليس أبلغ من هذا فى تحبيك فى معاشرة أهل الصلاح
والتقوى ، وتنفيرك من مخالطة أهل الفجور والفساد .

هذا وإن أخا الصدق هو الذى يمحض لك النصح ويخلطك
بنفسه ، فأنت هو وهو أنت ، مصالحتك مقدمة على مصلحته ، يدر
عليك الخير بيمينه ، ويدفع عنك الشر بشماله . ذلك هو الأخ
والخليل والصاحب :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك
ولقد ضرب لنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الأمثال
ياخاتهم العجيب الغريب، فقد كانوا يتقاسمون الأموال والضياع، بل
كان يؤتى بالطعام لأحدهم وهو في أشد حالات الجوع فيقول
« اذهبوا به إلى أخي فلان فهو أشد مني جوعاً، ولكن هؤلاء قوم :
عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذاك الدهر حال بعد حال
وخلف من بعدهم خلف اتخذوا الصداقة والأخوة لتنفيذ مآربهم
الوضيعة، وغاياتهم الدينئة ، فترى الناس في زماننا يسعون في مؤاخاة
الأغنياء رجاء منفعة ينالونها . ولذا ترى هذه الأخوة مضطربة
لا تدوم إلا بدوام هذه المنفعة ، فإذا تحول الغنى إلى فقر فسرعان
ما ترى هؤلاء الإخوان ولو وجوههم شطر غيرك ، وتواروا عن
رؤيتك . ومثل هؤلاء لا قيمة لأخوتهم ولا حرمة لشخصيتهم، وإن
تثمر أخوة بنيت على أساس من النفاق والملق ، وإنما تنتج الأخوة
أشهى الثمر إذا كان عمادها إشراق القلوب وتآلف الأرواح .
ومن الحكم الماثورة « إعرف الرجل من فعله لا من كلامه ،
واعرف محبته من عينه لا من لسانه » .

وفي الحديث « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف ، وإنك لن تجد أخاً وفياً إلا إذا كان ذا خلق
ودين . وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وكل أخ يقول أنا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول
 سوى خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول
 والناس معادن، فاختر للأخوة أجودها وأصفها، فقيما قيل:
 الرجال كالشجر: شرابه واحد، وثمره مختلف، ورحم الله القائل:
 بنو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
 فمنهم شجر الصند ل والكافور والبان
 ومنهم شجر أفض ل ما يحمل قطران

(١) التعليم الديني

الدين أساس كل الفضائل، ومنبع النور والحكمة، فيه العصمة
 من الزلل، والوقاية من التردى فى مهاوى الشقاء والهلاك، ما تمسك
 به إلا سعيد، وما نأى عنه إلا شقى طريد. بتعلم الدين والتمسك بآدابه
 ساد أوائلنا الأماجد، ونشروا للعالم مدنية فاضلة وأخلاقيات سامية، وعزة
 عالية، إذ الدين يجمع فى أصوله وفروعه سعادة الدنيا والآخرة،
 فهو جمال لمن يريد التجميل، وكمال لمن يبغى الكمال، وحلية للنساء
 والرجال. وإن المرء مهما بلغ فى علوم ظواهر الكون من كيمياء وعلم
 طبقات الأرض وجغرافيا وفلسفة وغيرها، فليس بمغنيه ذلك عن
 علوم الدين شيئا، إذ ليس فى هذه العلوم ما يهذب النفس ويصفى الروح
 ويربى الخلق. ولعمر الحق ما الدين إلا قانون وضعه العليم بطبائع

(١) كتب هذا الموضوع فى سنة ١٩٢٧ فى الطبعة الأولى وأعيد فى الطبعتين
 الثانية والثالثة ونعيده الآن للتاريخ

الخلق ، الخبير بمصالحهم ليسيروا على ضوئه ، ويهتدوا بهديه ، فينتظم
حالمهم ، ويسعد مآلهم ، ويدرك كل إنسان ماله وما عليه من أمور دنيوية ،
وواجبات أخروية .

وإن مما يؤلم النفس أن نرى شباب الإسلام في الجامعة المصرية
يلح في وجوب تعليمه أمر دينه ، بعد أن لمس الخطر المحدق بالامة في
آدابها وأخلاقها ، وانهار صرح الفضيلة ، وانتشار كل مردول ومنكر
بين أمة إمامها القرآن ، ونبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد أن
عرف أن الأمم بآدابها وأخلاقها ، وأن لاعصمة من الوقوع في مزالق
الشر إلا بالاعتصام بحبل الدين ، فهو الدواء والشفاء ، بل بالدين يتقدم
العمران ويسعد الانسان ، وبغيره يصبح الأمر فوضى ، ومثل جماعة بغير
دين ، كمثل قطع من الغنم تتناوشها الذئاب من كل ناحية وكل مكان .
مما يؤلم النفس أن هذا الشباب المثقف الذي أدرك بعين بصيرته
وجوب تعليم الدين في كليات الجامعة للبنين والبنات ، لا يجد من
يستجيب لرغبته الكريمة ، ولا من يشجعه على معرفة دينه بحجة أن
الجامعة المصرية لم تنشأ لتعليم الدين ، وإنما خلقت للفنون والآداب ،
وأن الدين للأزهر وهو مفتوح على مصراعيه لمن أراد .

وإنى أقول إن هذه الحركة المباركة التي تشعر بغيرة الشبان على
دينهم ، ورغبتهم في الارتشاف من محاسنه ، لن تذهب سدى بل
سنرى آثارها وثمارها في القريب ، وقد فهم رجال الثورة أثر الدين
فعملوا على نشره في المدارس والجامعات ، وهم إن أرادوا تكوين قوة

لا تغلب فليسلاحوا شباب الأمة بسلاح الدين . فقد دعا قال رب العالمين
لنبيه الكريم « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من
الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . » ويقول في آية أخرى ، « والذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك
هم المؤمنون حقاً ، لهم مغفرة ورزق كريم . »

فالدين سلاح الأمم ، وعنوان حياتها وعزها وسعادتها ،
أدرك هذا المسلمون الأول فعملوا بالإسلام فأعزهم الله ومكن لهم في
الأرض وجعلهم سادة العالمين . ولن يكون للمسلمين عز ومجد إلا إذا
عادوا إلى العمل بدينهم واعتصموا بكتاب ربهم .

اختلاط الجنسين^(١)

تفرع عن وجوب تعليم الدين في الجامعة المصرية مسألة لزوم
التفريق بين الشبان والفتيات في أماكن الدراسة . وكما طالب شبان
الجامعة بوجوب تعليم الدين طالبوا بوجوب التفريق بين الطلبة
والطالبات في حجر التدريس صيانة للأخلاق والآداب ، واتباعاً
لعادات الشرق واستمساكاً بالدين الذي يحتم عزل الطلبة عن الطالبات
حفظاً للأعراض وقطعاً لوسوسة الشيطان ، وسداً لطرق الغي
والضلال ، ومحافظة على الشرف والعفة . فاستبشرنا بهذه الروح الطيبة ،

(١) كتب هذا الموضوع في سنة ١٩٣٧ وفي الطبعة الثانية والثالثة ونعيده في هذه

وتمنينا لها النجح والفوز، غير أن بعض من تنكروا لأداب الإسلام وأولعوا بتقليد الغربيين في مدينتهم الفاسقة، أفرغتهم هذه النهضة المباركة، فوقفوا في وجهها وتصدوا لمحاربتها، ولكن بسلاح المغالطة فزعهم كبيرهم أنه لا يعرف نصاً في كتاب الله ولا في سنة رسول الله يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب.

ومسألة وجوب التفريق بين الطلبة والطالبات في أماكن الدراسة لولم يرد الدين بها لحكم بها العقل والعرف والتجارب : إذ كيف يجمع بين حطب ونار ، ونقول للنار لا تشتعل ! ؟

وإن التعليم والتهذيب مهما بلغ من شأنهما لن يكبحا جماح العاطفة . ومع كثرة الاختلاط لا بد من تغلب العاطفة على العقل ، وهنا السقوط والعار ، والحزى والشنار .

وإني أسوق لحضرات القراء الكرام بعض آيات الكتاب الكريم وبعض أحاديث عن النبي الكريم تنص على تحريم اجتماع الفتيان والفتيات على أي نحو كان ، نصاً لا يحتمل تأويلاً :

يقول الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم » . ولا يعقل إنسان أن يجلس فتى بجوار فتاة على كرسي واحد ولا ينظر إليها إلا إن كان أعمى البصر .

ويقول جل شأنه في آية أخرى : « وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » . وإذا كان سؤال المرأة المتاع يجب أن يكون وبينهما حاجز ، فهل يقول عاقل إنه

لا ضرر من الاختلاط ! اللهم إن ضرر الاختلاط لا يخفى إلا على من طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم ، إذ ميل الذكر للأنثى وميل الفتاة للفتى من تكوين خلقتيهما ولا سبيل لدفع هذا الميل إلا بحجب الواحد عن الآخر . ولذا أمر الله النساء بغض أبصارهن عن الرجال كما أمر الرجال بغض أبصارهم عن النساء : «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن» الآية . فكما يحرم على الرجل النظر إلى المرأة التي لا تحل له ، كذلك لا يحل للمرأة أن تنظر إلى رجل لا يحل لها ، بل ربما يكون نظرها إلى الرجل أشد خطراً وأبعد أثراً .

ويكفيينا من الآيات ما تقدم لنذكر لك طرفاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تنص على التحريم . وأحب أن أبدأك بقول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأها والدها صلوات الله عليه قائلاً لها «أى شيء خير للمرأة» فقالت : «أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل ، فضعها إلى صدره ، وقال «ذرية بعضها من بعض» وعن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى أن يسير الرجل بين المرأتين» هذا في الطريق ، فكيف لو كان في مكان الدرس فتاة عن يمين الشاب وأخرى عن شماله ! بل استمع معي إلى هذا الحديث القاطع بوجوب التفريق بين الرجال والنساء في دروس العلم : روى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم قال : «جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا ما

عليك الله ، قال اجتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن بما عليه الله .

فلو كان اختلاط الرجال والنساء حول أستاذ يعلمهم الفن والعلم والأدب جائزاً لما خصص الرسول الأكرم لمن مجلساً خاصاً يرشدهن فيه إلى أمور دينهن . بل نرى الإسلام يمنع من الاختلاط حتى في أماكن العبادة ، فللرجال مكان ، وللنساء مكان آخر . فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تركنا هذا الباب للنساء ، أحد أبواب المسجد . قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات . وروى أبو داود في باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال ، عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينهى أن يدخل من باب النساء . . وهناك ما هو أصرح مما تقدم من اعتزال النساء للرجال في المساجد ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : « شهدت صلاة الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلونها قبل الخطبة ثم يخطب ، قال : فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم كأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بين يديه ، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء ومعه بلال ، فقال : يا أيها النبي إذا جاء المؤمنات يبائعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ، فتلا هذه الآية حتى فرغ منها ثم قال : أتتن على ذلك ؟ فقالت امرأة واحدة لم تجبه غيرها منهن : نعم يا نبي الله ، قال : فتصدقن ، فبسط بلال ثوبه ثم قال : « هل فدى لكن أبي وأمي فجعلن يلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال ، رواه البخاري ومسلم .

ولا أدري كيف يوفق من يدعى إباحة الاختلاط بين زعمه وبين قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له، وكذا قوله صلوات الله عليه «لأن يزاحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حماة خير له من أن يزاحم منكب منكب امرأة لا تحل له» .
وليس من الميسور ولا من الممكن ألا يمس كتف الفتاة وهما يحجر الدراسة وقاعات المحاضرات .

إن الدين الإسلامى بتحريمه اختلاط الرجال بالنساء وضع حاجزاً منيعاً بين الفضيلة والرذيلة، وبين الصون والابتذال ؛ بل إنه إذ شدد في أمر النساء وبين أن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهى فى قعر بيتها ، — إنما يعمل على احترام المرأة والمحافظة عليها كما يحافظ المرء على جوهره ثمينة . وقد فهم هذا نساء العصر الأول ، فكن بالدين متمسكات ، وبالفضيلة معصمات ، ذكر الحافظ بن عبد البر فى الاستيعاب «أن أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء ، جاءت وافدة على النبى صلى الله عليه وسلم من قبل النساء فقالت له : إني رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقطن بقولى وعلى مثل رأيى : إن الله تعالى أرسلك إلى الرجال والنساء فأمنّا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز

والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم
أفشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوجهه إلى أصحابه فقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن
سؤالا عن دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى والله يا رسول الله . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفي يا أسماء وأعلى من وراءك من
النساء أن حسن تبعل لإحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها
لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال فانصرفت أسماء وهي تهلل
وتكبر استبشاراً بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانظر في قولها رضى الله عنها : نحن معشر النساء مقصورات
مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال ، تجد أنها ذكرت
الواقع ، وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فمنع اختلاط
الرجل بالمرأة لكون المرأة موضع شهوة الرجال ، فلا صبر ولا
عقل عند الاختلاط ، بل السلامة كل السلامة في التفريق بين
الرجال والنساء والطلبة والطالبات . ومن يقل غير هذا يخالف
الواقع وينكر المشاهد ويعص الله ورسوله ، وله في الدنيا خزي
وفي الآخرة عذاب عظيم . ويجرنا الكلام على ضرر اختلاط الفتيان
بالبقيات ، إلى الكلام عن :

السفور والحجاب

كثر الجدل حول إباحة السفور للمرأة أو وجوب الحجاب لها
وليس هذا الجدل بالحديث ، بل قد تنازعت فيه طائفتان : طائفة

السفوريين الذين يديحون اختلاط الرجال بالنساء، وإعطاء الحرية المطلقة للمرأة، ولو كان في ذلك ضياع الشرف والعفاف؛ وهم في ذلك يقلدون الأفرنج ويسرون وراءهم في هذا الميدان، إشباعاً لشهواتهم، ولو كان في ذلك مخالفة صريحة للدين، ومحاربة لله رب العالمين. وهذه الطائفة بدعوتها الطائشة تريد قلب نظام الأسرة، وتقويض دعائم البيوت، وتعمل على تمرد المرأة ضد الرجل وضد المجتمع. وهذا ما حدث، فهذه جمعيات من النساء تطالب بمساواة المرأة للرجل حتى فيما نص الدين فيه نصاً صريحاً لا يحتمل تأويلاً على التفريق بين المرأة والرجل كمسألة الميراث. ولهذه الجمعيات النسوية مطالب لن تنتهي: منها المطالبة بوجوب انتخابهن أعضاء في البرلمان، وفي مجالس المديريات، وتوليهن القضاء، ومشاركتهن للرجال في سائر الأعمال. وحال هذه الجمعيات ينطق بأن على الرجال تربية الأولاد، وتنظيف البيوت، وإعداد الطعام، والقيام بكل الشؤون المنزلية، وعلى الرجل إذا حضرت حضرة النائية أو القاضية أن يقدم لها الغذاء ويهيئ لها القهوة، ويعد لها الخدع لتستريح من مشاق الأعمال... كل هذه الأوهام والخيالات جرّها إلى النساء حماقة الإباحيين الذين دعوا المرأة إلى السفور ونبد الحجاب. ولقد كانت المرأة في ماضي السنين اللؤلؤة المكنونة، والجوهر الثمين، فأصبحت كما ترون المبذلة المتهتكة، الخليعة المستهترّة، ترمقها الأنظار وتعافها القلوب، وأضرب الشبان عن

الزواج لما رأوا أن المرأة تهتكت وخلعت برقع الحياء ، ووجد الشباب في سفور المرأة وتبرجها من ضروب المتع والملاذات ما صرفه عن التفكير في الزواج . وهذه حال إن لم يتداركها أولو الأمر فينا بالعلاج الحاسم والقضاء على التبرج والخلاعة . بسن القوانين الرادعة أقول إن لم يفعل أولو الأمر هذا تضيع كرامة الأمة ويذهب خلقها ودينها ، ويصبح أمرها فوضى ، ولن يستقيم نظام وخلق الأمة في اضطراب ودينها إلى ذهاب ، طائفة السفوريين دعت إلى الفساد ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

والطائفة الثانية : هى الطائفة التى دعت إلى وجوب الحجاب وصون المرأة وإعزازها ، والبعد بها عن مزالق الشياطين ، ومواضع الريب والظنون ؛ وذلك لا يكون إلا بتمسكها بأداب دينها ، والعمل بكتاب ربها ، والتفرغ لتربية أولادها ، وتنظيم شئون بيتها وإسعاد زوجها ، وخدمة أمتها بتنشئة بنينا على الفضيلة وحب الوطن . أما سفورها وتبرجها وتوليها من الشئون ما لم تخلق له فهذا قلب للنظام يوجب للأمة الارتباك ، ويوقعها في حيرة من أمرها ، ويصرف الرجال عن الزواج وإخراج نشء صالح للأمة . بل أقول إن مشاركة المرأة للرجل فى الأعمال وخروجها على الآداب والأخلاق بتبرجها وسفورها ، يحدث الفساد فى البلاد ، ويوقع نار العداوة والبغضاء بين الناس .

وإنى أنقل لك كلمة عن رجل منعت بنصير المرأة والمدافع عنها

وهو الذى نادى بالسفور وطرح الحجاب ، وأثار فتنة عمياء تصلى
الامة ناراها وتجنى وخامة عاقبة دعوته المضلة : ذلك الرجل هو قاسم
أمين بك ، وهذه الكلمة التى أنقلها عنه قالها رداً على الدوق داركور
الذى عاب المرأة المسلمة وتهكم على الحجاب فى الشريعة المحمدية .
وأحسب أن قاسم بك أمين قال هذه الكلمة قبل أن يركب رأسه ،
ويتبع هواه ، ويكابر فى الحق بعد ما تبين .

قال تحت عنوان (دواعى الغرام) : إن المرأة والرجل عند
الغربيين فى اختلاط دائم مع بعضهما وتلازم مستمر ، ذلك بالطبع
داعية التعارف ، وسبب فى تأكيد روابط المحبة والاتلاف والتعلق
— وذكر مشاهدات وقعت له فى أوروبا ، أرى من الحكمة عدم
الإشارة إليها — ثم قال : ويخيل للإنسان أن من العادات المقررة
عند الغربيين أن من منح نعمة أو قسم له حظ من الحظوظ ،
لا يصح أن يختص بما نال وحده ، بل يجب عليه أن يشرك غيره فيه .
وكذلك الرجل المتزوج بامرأة جميلة يصير موضوع انتقاد عام
إن حاول الاستئثار بها ولم يسمح لها بالاشتراك هى أيضاً فى مؤانسة
أصحابه وخلانته .

« ومن المعلوم أن هؤلاء الأصحاب يمازحون امرأة صاحبهم
هذه ويضاحكونها ويحتهدون فى استعطافها وجذب قلبها إليهم ،
يواطبونها على استمالتها واستهوائتها ، وزوجها يرى ذلك ولا يعبا
. يفعلون ، بل يهمل أمرهم ، فإن منهم من هم أصحابه من الصغر ولا

شيء في الأمر إلا أنه مجرد مزاح ومضاحكة بسيطة، وفي هذه الأثناء تراه هو أيضاً يأتي مثل هذه الأمور نفسها مع نساء أزواج آخرين حفظاً للتكافؤ، فكل زوج يأخذ ويعطي حتى لا يحرم واحد من التلذذ والتمتع، ليكون السرور متبادلاً، والآنس محبوبك الطرفين.

«ولكن هل يمكن القطع بأن هذه العلاقات يتبعها على الدوام ارتكاب المعصية أو إتيان منكر؟ هذا ما لا يصح الجزم به في المجموع إذ ما لا نزاع فيه أنه توجد بين هذه النفوس نفوس أبية فاضلة تحافظ على عفتها، وتحفظ قوى إرادتها. ولكن كم بجانب هذه النفوس الشريفة من نفوس غيرها تزل، كم من شرف يجرفه هذا التيار، وكم من قلوب تستهويها هذه المداعبات وتصيبها سهام تلك الملاعبات، ويقهرها سلطان الشيطان... إلى أن قال: وغنى عن البيان أننا معشر الرجال في الحقيقة خطفة قلوب، وسلافة ألباب! وإنى أستمح أبناء جنسى العذر في هذا الكلام، فإن الرجل منا لا يترك باباً يوصله لغرضه من استهواء فؤاد من مال إليها والاستحواذ عليها إلا طرقة، وإن استدعى ذلك ما استدعى من التحايل أو الكذب أو ارتكاب الدنيا، ولو لم يكن مدفوعاً إلى ذلك بسلطان الشهوة وقوة الغرام وقد يستقبل الصديق صديقه في بيته أحسن استقبال ويؤاكلة ويبالغ في إكرام مثواه ويحسن إليه فلا يكون منه إلا أن يقابل هذه المكارم كلها بخيانتة في أعظم شيء شريف لديه ويصيبه في

أخطر مقاتله . يقدم الإنسان على هذا العمل السافل بدون أن يفكر لحظة في شر عاقبة ما هو مقدم عليه ، ولا مقدار ما يصيب به شرف غيره ، بل تراه دائماً مقبلاً على الأمر لا يردعه عنه زاجر ولا يزعجه وازع ، وكلما اعترضه عائق ازداد إقداماً وقحة للوصول لغرضه ، ولإحراز إكليل الفوز والنصر ، وبئس النصر هو حيث إن غايته إتمام أمر هو كل الخسة والسفالة . . ثم قال :

« إذا علم ذلك فهل يتأتى تقريب الرجل من المرأة ، وتسهيل اختلاطهما بدون المخاطرة بصفو العائلات والعبث بالآداب والأعراض ! فجواب ديننا القويم على ذلك : أن لا ! ولذلك أمرنا بالحجاب ، بأن تكون مجامع الرجال خاصة بهم ، ولا يجوز أن تحضرها امرأة أجنبية عنهم ، كما أمر النساء أن يجتمعن ببعضهن وحدهن ، ولا يحضر رجل في مجتمعاتهن . وقد قصد الدين بذلك أن يحفظ كلا من الرجال والنساء من نتيجة ضعفهما ، وأن يسد أبواب الفتنة والمفسدة ويستأصل الداء من جذوره ، لأنه إذا قيل إن الفرصة تعلم السرقة ، فإنها تقود كذلك إلى الزنا . . .

ثم استرسل في ذكر عادات الغربيين كخروج المرأة سافرة الوجه غير مستورة الكتفين والذراعين ، تراقص من تشاء ، وتغازل من تهوى على مرأى من زوجها ، وعجب من برودهم وعدم تحرك عوامل الغيرة في نفوسهم — ثم قال : وبالعكس العادات الغربية

التي يظهر أنها وضعت لتعميم اللذات في هذا العالم ، عالم النكد والشقاء ، والإكثار من دواعيها فيه ، بنيت عادتنا ، معشر الإسلام على مبادئ الفضيلة والعفاف ، ولا يخفى أنهما عدوا اللذات والرفاهة والترف ، فلا يمكن أحداً أن يجمع بين المتضادين لأن الجمع بينهما محال ، فاخترناهما على التمتع بهذه الملذات . وما هو قد مضى على المسلمين زيادة عن ألف وثلاثمائة عام وهم متبعون هذا الطريق مفضلون الفضيلة على شهوة النفس ، فصار ذلك عادة فيهم جبيلة لا ينكفون عنها

واختتم هذا الموضوع بكلمتين إحداهما لفضيلة الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده ، والثانية لتلميذه العالم المرحوم صاحب المنار السيد رشيد رضا ، جاء في صحيفة ٦٥ من نهج البلاغة جزء أول من كلام الأستاذ الشيخ محمد عبده ما نصه :

« خلق الله النساء لتدبير أمر المنزل ، وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، تخلق لهن من العقول بقدر ما يحتاجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ، فكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث . »

وقال السيد رشيد رضا من مقالة عنوانها (كلمة في الحجاب) ما نصه « والذي نراه نحن في المسألة أن الترية والتعليم لا يتوقفان على كشف الوجه ، ولكنهما يتوقفان في كمالهما على مكاملة الرجال

ومبادلتهن الأفكار والأقوال ، وربما كان في الأقارب غنية عن الأجانب — إلى أن قال ..

« العلماء متفقون على وجوب الستر ، لاستحبابه ، عند خوف الفتنة . أما الضرورات فإنها تقدر بقدرها ، وتجري على قاعدة « يرتكب أخف الضررين » ، وهي من القواعد الشرعية العقلية التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان »

وبعد فإن في السفر خطراً على الأخلاق والآداب والأعراض وفي الحجاب الصون والعفاف ، وما يتذكر إلا أولو الألباب ، وليس على العلماء إلا البلاغ ، والله يتولى الجزاء والحساب .

لماذا لا يحجب الدعاء

قيل لإبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى « ادعوني أستجب لكم » ؟ قال : لأن قلوبكم ميتة . قيل : وما الذي أمتاها ؟ قال : ثمان خصال :

عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، فواطئوه على المعاصي ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها ، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطكم ربكم ، فكيف يستجيب لكم ! ، .

الدعاء

كثير من الناس ينسى خالقه ورازقه مادام في سعة من العيش والصحة والسلامة ، فإذا نزلت به نازلة أو أهمله أمر من أمور ديناه ، رأيته تذكّر ربه وتضرع إليه ، وسأله كشف ما نزل به . ويصور هذا تمام التصوير قول الله تعالى « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً . فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسه . . . »

عجيب حال الإنسان مع ربه ؛ يصدق عليه النعم فينساها ويذكر غيره ، فإذا نزات به شدة لم يجد من يلجأ إليه سوى مولاه الذي أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة . فيجمل بالعبد أن يكون دائماً على ذكر من مولاه ، يدعوه في الرخاء كما يلجأ إليه في الشدة ، لأنه الذي بيده كل شيء ، والقادر على كل شيء ، يحجب دعوة الداعي إذا دعاه ما استجاب له وآمن به ، قال تعالى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ، والدعاء مخ العبادة كما يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد طلب الله من عباده أن يسألوه حوائجهم ولا يسألوا أحداً غيره : لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب ولقبول الدعاء شروط ؛ منها أن يتوب العبد من آثامه ، وأن

يكون مطعمه وملبسه ومشربه من حلال . فإذا أضاف إلى ذلك خشوع القلب ، واستقبال القبلة ، وكان على طهارة ، وقدم بين يدي دعائه صدقة ، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة ، وهي الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وعقب الصلوات المفروضة ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة ، وبدأه بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً . والدعاء ينفع بما نزل وبما لم ينزل ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويمنع نزوله ، ويرفعه ، أو يهون أمره إذا نزل . فالمؤمن يتخذ سلاحاً يحارب به البلاء .

فعن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض » . وللدعاء مع البلاء ثلاث حالات كما يقول الإمام ابن القيم في الجواب الكافي : أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

وروى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها

قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما لم ينزل وبما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء

فيعتليجان إلى يوم القيامة ، وفيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل فعليك عباد الله بالدعاء . وفيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه . وقد يقال إننا ندعو فلا يستجاب لنا ، فهل لهذا من سبب ؟ والجواب : أن هناك موانع من إجابة الدعاء ، منها أن يدعو يائس (معصية) كأن يقول يارب مكى من فلان لأقتله ، أو من فلانة لأفسق بها ، أو خرب بيت فلان ويستم أطفاله ، أو يدعو بقطيعة رحم ، أو يستعجل الإجابة كأن يقول : دعوت ربى فلم يستجب لى ، أو يكون مأكله أو ملبسه حراما . فكل هذه الأمور وما أشبهها تمنع من إجابة الدعاء . وعند إجابة الدعاء قد يعطى الله السائل عين ما سأل لعلمه تعالى أن فى ذلك مصلحته ، وقد يعطيه مثله إن علم المصلحة فى غيره ، وقد يدخر له ثواب ذلك فى الآخرة .

وما أجل وأروع الدعاء إذا غارت النجوم ، ونامت العيون ، والتجأ الداعى إلى الحى القيوم ، فى تذلل وخضوع ، ورهبة وخشوع يسأله سؤال المحتاج الفقير ، ويدعوه دعاء المضطر الذليل ، الذى لا يرجو سواه ، ولا يبغى الخير إلا من جناب مولاه ، لزم بابه فلا يتحول عنه ولا يريم ، موقناً أنه مجيب دعاه ، ومعطيه متمناه ، فالخير بيده ، وهو الكريم الذى يقضى حوائج السائلين ، ويفرج كرب المكروبين ، ويغيث المستغيثين ، ويرحم أهل البلاء ، ويجود بالمغفرة على التائبين ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

والآن وقد علمت منزلة الدعاء ، وأن الله يحب من عبده أن يدعو
ويسأله حاجاته ويلجأ إليه في الشدة والرخاء — أسوق إليك طائفة من
الادعية المأثورة في تفريج الكربات ، وتحقيق الرغبات ، وقضاء الحاجات :
فمن ذلك ما روى في السنن وفي صحيح ابن حبان أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله
لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ،
فقال صلى الله عليه وسلم : لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى ،
وإذا دعى به أجاب . وفي لفظ : « لقد سألت الله باسمه الأعظم » .
وفي مسند الإمام أحمد وصحيح أبي حاتم بن حبان من حديث
أنس بن مالك « أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
ورجل يصلي ثم دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله
إلا أنت المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام
يا حي يا قيوم » فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد دعا الله باسمه
العظيم الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » .

وفي جامع الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله
الأعظم في هاتين الآيتين » وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم ، وفاتحة آل عمران « ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم »
قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

وفي مسند أحمد وصحيح الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « أظنوا بي إذا الجلال والإكرام ، أى تعلّقوا بها وداوموا عليها .
وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمر قال « يا حي يا قيوم »

برحمتك أستغيث ، وفي البخارى ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش العظيم ، وفي جامع الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » إنه لم يدع بها مسلم فى شيء قط إلا استجاب الله له . وفى صحيح الحاكم أن سعد بن أبى وقاص سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول « هل أدلكم على اسم الله الأعظم ؟ دعاء يونس » فقال رجل يا رسول الله هل كان ليونس خاصة ؟ فقال : ألا تسمع قوله تعالى « فاستجبنا له ونجيناه من الغم » وكذلك ننجى المؤمنين . فأما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد ، وإن برىء برىء مغفوراً له ، وذكر ابن الدنيا عن الحسن قال : كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، يكنى أبا معلق ، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره ، يضرب به فى الآفاق ، وكان ناسكاً ورعاً ، فخرج مرة فلقية لص مقنع فى السلاح قال له ضع ما معك ، فإني قاتلك ، قال : فما تريد إلا دمي ، فشأنك والمال . قال : أما المال فلي ولست أريد إلا دمك . قال : أما إذ آيت فذرني أصلى أربع ركعات . قال : صل ما بدا لك فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال : يا ودود

يا ذا العرش المجيد ، يا فعلا لما تريد ، أسألك بعزك الذى لا يرام
وبملكك الذى لا يضام ، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك ، أن
تكفينى شر هذا اللص ، يا مغيث أغثنى ، يا مغيث أغثنى ، ثلاث مرات
فإذا هو بفارس أقبل بيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه ، فلما
بصر به اللص أقبل نحوه قطعنه فقتله ، ثم أقبل إليه فقال : قم فقال
من أنت بأبى أنت وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم . فقال : أنا ملك من
أهل السماء الرابعة ، دعوت فسمعت لأبواب السماء قعقة ، ثم دعوت
بدعائك الثانى ، فسمعت لأهل السماء ضجة ، ثم دعوت بدعائك
الثالث فقيل لى : دعاء مكروب . فسألت الله أن يولينى قتله .

قال الحسن : فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء
استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب .

واعلم أخى وفقك الله للخير أن من ألهم الدعاء فإن الإجابة
معه ، فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إني لا أجمل
هم الإجابة ، ولكن هم الدعاء .

ونختتم هذا الفصل بقول النبى العظيم صلى الله عليه وسلم : اللهم
ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى إلى حبك اللهم
إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم إنك عفو تحب العفو
فاعف عنى ، يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، وصلى الله تعالى وسلم
على سيدنا ومولانا محمد ورضى الله عن أصحابه ومن تبعه . اللهم
احشرنا فى زمرة منتهى امتناع على ملتته ، واختم لنا بالخير يا أرحم الراحمين .

فهرست

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥١	فضل الصلاة في المساجد ...	٤	تصدير الكتاب ...
٥٣	من أم بالناس فليخفف ...	٦	خطبة الكتاب ...
٥٣	صل فإنك لم تصل ...	٨	عظمة فتي الصجرا ...
٥٥	تسوية الصفوف ...	١٠	عفوه عند المقدرة ...
٥٥	فضل الصف الأول ...	١٣	رحمته وبره ...
٥٦	صلاة الجمعة ...	١٥	شجاعة وقوة عزيمة ...
٥٧	إلى المترفين ...	١٧	إن الدين عند الله الاسلام
٥٩	صلاة المسافرة ...	١٩	القسم الأول من منهاج الاسلام
٦٠	صلاة النضوع ...	٢٢	إثبات المعاد ...
٦٠	السهو في الصلاة ...	٢٤	شقيق البلخي وتلميذه حاتم
٦٢	الأذان ...	٢٨	إذا سألت فاسأل الله ...
٦٦	كرامة سيدنا محمد عند ربه	٢٩	الثلاثة الذين انطبق عليهم القار
٦٦	الاستسقاء ...	٣٢	القسم الثاني من منهاج الاسلام
٦٨	فكاهة وعظة ...	٣٣	الوضوء ...
٦٩	الصيام ...	٣٤	كيفية الوضوء ...
٧٢	الزكاة ...	٣٦	كيفية الغسل ...
٧٤	الحج ...	٣٦	الصلاة ...
٧٧	أعز الناس وأغناهم وأقوامهم	٤١	أجنبي يشيد بفضل الصلاة
٧٩	القسم الثالث من منهاج الاسلام	٤٤	في الاسلام ...
٧٩	عوامل رقي الأمم ...	٤٥	أوصيكم بالصلاة ...
٨٠	العامل الأول : الاقتصاد ...	٤٦	السعيد في يومه ...
٨٠	العمل ...	٤٦	كيفية الصلاة ...
٨٢	حسن الصلة بين الأفراد ...	٤٨	صلاة المريض ...
٨٢	التوصل في مرافق الحياة	٤٩	النشهد ...
٨٤	العامل الثاني : سياسة الأمة	٥٠	ما يقول المصلى بعد تكبيرة
٩٠	العامل الثالث : في وقى الأمم	٥١	الأحرام ...
			وضع اليدين في الصلاة ...

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٤	الآداب العامة ...	٩٠	الأخلاق ...
١٢٤	واجبات والزوجين ...	٩٠	الشجاعة ...
١٢٧	صلة الأرحام ...	٩٣	العفة ...
١٢٩	حقوق الآباء على الأبناء ...	٩٤	العدل ...
١٣١	حقوق الأقارب ...	٩٧	الحكمة ...
١٣٣	إزالة الهموم والأحزان ...	٩٨	الصبر ...
١٣٤	الأصدقاء والإخوان ...	٩٩	الصدق والصراحة ...
١٣٥	الإخوان ...	١٠٠	شهادة الزور ...
١٣٨	التعليم الديني ...	١٠٣	حكاية صوفى ...
١٤٠	اختلاط الجنين ...	١٠٤	السماحة ...
١٤٥	السفور والحجاب ...	١٠٥	الحرس والطمع ...
١٥٢	لماذا لا يجب الدعاء ...	١١٠	الحياء ...
١٥٣	الدعاء ...	١١٤	المروءة ...
		١٢٠	الآداب ...

انتظروا قريباً للمؤلف

كتاب مواكب الأفراح إلى عالم الأرواح

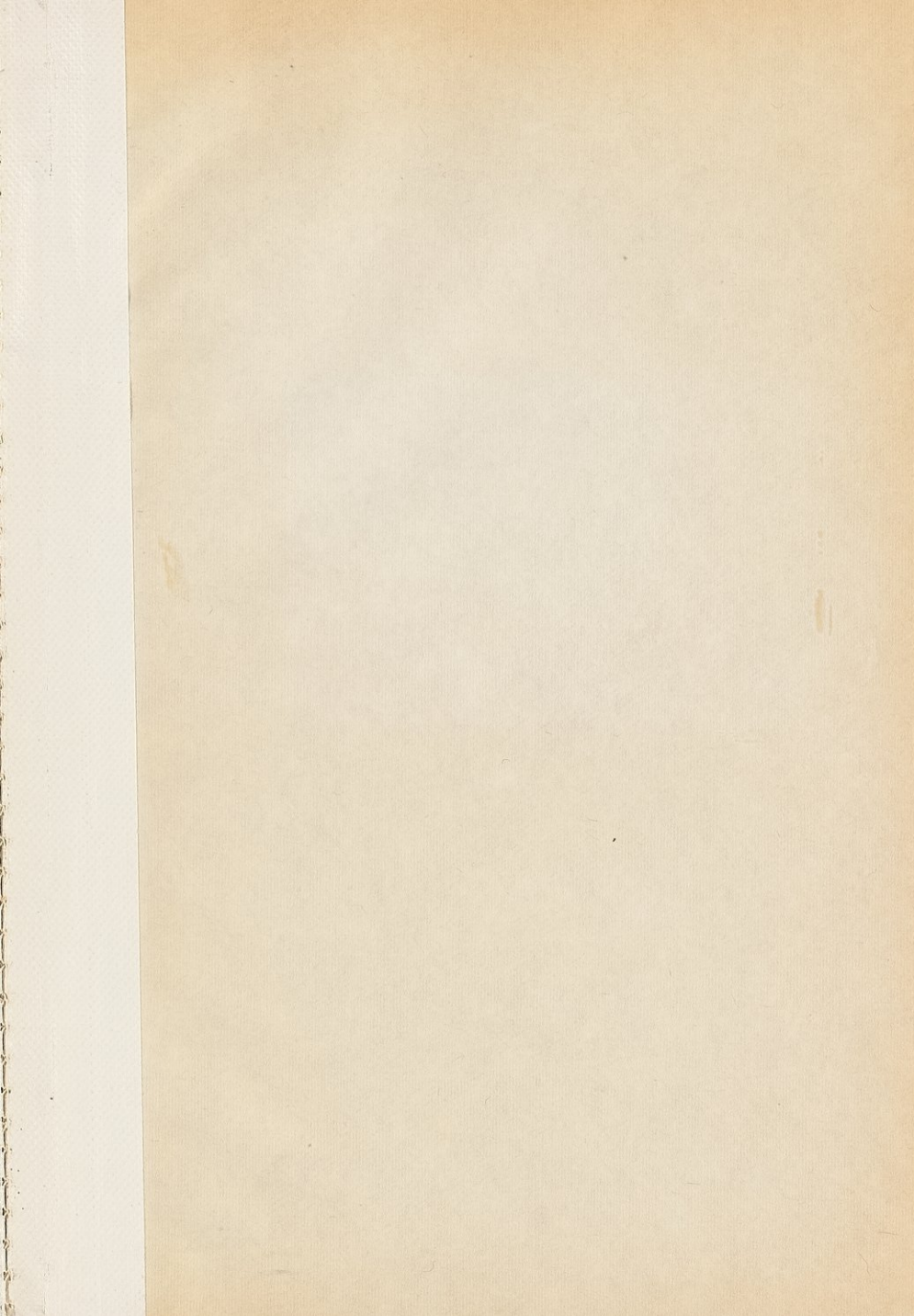
من موضوعاته — أين الروح بعد مفارقة الجسد — مخاطبة
الأرواح — سعادة الروح وشقاؤها وكل ما يتعلق بالحياة الثانية
في البرزخ والحشر

تطلب جميع مطبوعاتنا من :

اسكندرية ت ٢٣٥٨٨	دار المعارف
بيروت ت ٢٤٥٠٣	المكتب التجارى
بيروت ت ٣٠٥٦١	دار الثقافة
دمشق ت ١٢٢٦٤	دار اليقظة العربية
الجزائر ت ٩٩ - ٣٩٨	مكتبة النهضة
الخرطوم - السودان	مكتبة النهضة السودانية
الأيض - السودان	دار كردفان
تونس	المكتبة الأدبية
الحجاز	مكتبة إحياء الكتب

للمؤلف

- ١ - غذاء الأرواح
- ٢ - سفينة النجاة
- ٣ - مواكب الملائكة في شهر رمضان
- ٤ - كيف تكون خطيباً
- ٥ - الأنوار المحمدية في الخطب المنبرية
- ٦ - مواكب الأفراح إلى عالم الأرواح ، تحت الطبع ،
- ٧ - محاسن الاسلام



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074497155